

الجانب العلمي  
في نشأة المخطوط العربي

التدقيق اللغوي  
شروق محمد سلمان

إخراج  
حجى الدين حسين يونس

الطبعة الأولى  
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م  
ISBN 978-9948-455-23-3

مُحَقَّقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي  
إدارة البحوث

---

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

www.iacad.gov.ae mail@iacad.ae



# الجانب العلمي في نشأة المخطوط العربي

محاضرات ألقاها

د. محمد مطيع الحافظ

في الدورة التدريبية السادسة لمبعوثي الدول العربية

لدراسة شؤون المخطوطات العربية بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## الافتتاحية

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدي - إدارة البحوث » أن تقدّم إصدارها الجديد: « الجانب العلمي في نشأة المخطوط العربي »، لجمهور القراء وطلبة العلم والسادة الباحثين والمتطلعين إلى المعرفة.

هذا الكتاب رحلة ممتعة مع المخطوط العربي، وتاريخه، وصناعته، وتوثيقه والفنون المرتبطة به، مع مبحث خاص بالسماعات المدونة على المخطوطات والفوائد المجتناة منها، كل ذلك قدمه الباحث المحقق في سلسلة محاضرات في دمشق، ضمن الدورة التدريبية السادسة لمبعوثي



الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات العربية، ثم تفضل بجمعها وتوثيقها في هذه السطور النافعة بإذن الله.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم - حفظها الله تعالى -، التي تحب العلم وأهله، وتوازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها صاحبُ السمو الشيخُ محمدُ بنُ راشد بن سعيد آل مكتوم، نائبُ رئيس الدولة، رئيسُ مجلس الوزراء، حاكمُ دبي، الذي يُشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويُشجع أصحابه وطلّابه.

راجين العليّ القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْخَاتَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

عادل جمعة مطر

مدير إدارة البحوث



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين،  
وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي هذه الدراسة نص لأربع محاضرات ألقيتها على مبعوثي  
الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات العربية بدمشق سنة  
١٩٨٦م في قاعة المحاضرات بالمكتبة الوطنية، وحضر هذه  
المحاضرات من كل بلد عربي مندوب يحمل شهادة عليا، وكان  
الحاضرون من المتخصصين في شؤون المكتبات عامة والمخطوطات  
خاصة، وحاضر في هذه الدورة التدريبية علماء وأساتذة في عدة فروع  
من العلوم الإنسانية: منهم الدكتور عبد الكريم اليافي والدكتور  
شاكر الفحام والدكتور محمد الزحيلي والأستاذ عصام الشنطي...،  
وكان المشرف على هذه الدورة: معهد المخطوطات العربية التابع

لجامعة الدول العربية، وقد أوكل إليّ التحدث عن الجانب العلمي للمخطوطات العربية.

ويتضمن الجانب العلمي للمخطوط العربي الأمور التالية:

- التعريف بالتراث العربي، وأن المخطوطات العربية تمثل الجانب المكتوب لهذا التراث.

- ولدراسة المخطوط العربي لا بد من معرفة نشأتها وصناعتها وعوامل تطورها وكيف وصلت إلينا وكتابتها والاصطلاحات التي تحتويها، وطرق إخراج الكتاب وتطور الخط وطرق التأليف والإملاء، وكتابة المخطوط والساعات والإجازات وصيانة المخطوط وحفظه.

هذا يتطلب منّا معرفة تطور الكتابة والخط عند العرب في الجاهلية والإسلام، وكذلك بداية التأليف عندهم وطرقها تأليفاً وإملاءً. والمنهج في كتابة المخطوط وإخراجه موثقاً، وتسجيل الساعات التي هي شهادات علمية للمؤلف والسامعين لهذا الكتاب، وتوثيقه علمياً.

وبعد: فهذه المحاضرات تعطي صورة واضحة وموجزة لنشأة

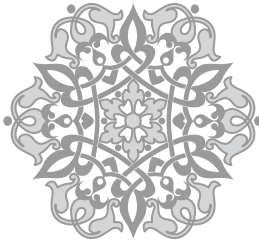
المخطوط العربي من الناحية العلمية.



أرجو أن تكون هذه الدراسة مفيدة لمن يعمل في شؤون  
المخطوطات وتوثيقها وتحقيقها، والله ولي التوفيق.

د. محمد مطيع الحافظ







## مقدمة عامة

### عن المخطوطات العربية وأهمية التراث العربي

المخطوطات العربية هي التراث العربي المكتوب على شكل صحف ضُمَّ بعضها إلى بعض. وهي تمثل عبقرية العرب وخبرتهم وثقافتهم المكتوبة، ويشغل هذا التراث من نفوس كثير من المعاصرين منزلة عالية، جعلتهم يعملون على تحديث الثقافة، لأنه يكون منا نحن وبالتالي نكون نحن المستقبل.

والإجماع منعقد بين دارسي النهضة على أن بذور المستقبل لا تنفصل عن تراث الماضي، وأنَّ النظرة إلى وراءإنها هي شرط لتصويب النظرة إلى أمام؛ وإن في الحياة العربية الماضية من الحوافز والتجارب والمبادرات والإبداعات ما لا يمكن أن نستغني عنه في تطلعنا نحو الآتي.

فلا عجب إذن أن تشغل هذه المخطوطات - التي تمثل الجزء الأكبر من تراثنا - أذهان المعاصرين وأن يلتفتوا إليها بالعين الفاحصة، وأن يقيموا بينها وبين حركتهم المعاصرة هذه الجسور التي تمر من فوقها الأجيال القادمة في طريقها إلى بناء المستقبل.

ولقد رأى المحبون لهذا التراث بداية التعرف إلى الذات قاعدة للانطلاق بها إلى الإسهام في الحياة الحضارية المعاصرة، وإنهم لن يجدوا دوافعهم المحركة إلى ذلك، إلا إذا استمدوا من تراثهم ما يؤكد عندهم قدرتهم، ويضع أمام أعينهم تجاربهم السابقة، فكان التراث جواز دخولهم إلى مركب الحضارة المعاصرة ومشاركتهم فيها.

فالتراث إذن، والاهتمام بدراسة المخطوطات ليس عملاً تاريخياً ماضياً، بقدر ما هو عمل حياتي مستقبلي، ولا يمكن أن يبقى أمره في حدود الوفاء النظري له، والإشادة العاطفية به، وإنما هو كذلك، أو قبل ذلك في الإفادة منه. إنه نوعٌ من الإعداد، ولون من كسب الثقة بالنفس، والثقة بالنفس أشد ما تحتاج إليه الشعوب في هذا التفجر الحضاري المتسارع.

والإفادة من التراث لا تكون إلا في التعرف إليه من خلال

مخطوطاتنا، ومن خلال وثائقنا، فما زلنا نعرف بعضها ونجهل كثيراً منها، نجهل مواطنها، كما نجهل بعضاً من اصطلاحاتها، والمراحل التي صنعت فيها المخطوطات شكلاً وموضوعاً.

ولهذا كان من الواجب التعريف بها، وبيان ما تضمنه من علوم، وكلك التعرف إلى أماكنها، ومن ثم جمع هذه المخطوطات أو مصوراتها، ثم العمل على تحقيق المفيد منها.

لقد بدأ الاهتمام بهذه المخطوطات وما فيها من تراث مع بدايات النهضة، ولم يكن لهذا الاهتمام منهج واضح، وإنما بدأ كل قطر من حيث استطاع أن يبدأ، ونهضت حكومات ومؤسسات وأفراد مع بداية الطباعة في بلادنا العربية.



## مميزات تراثنا العربي

هذا وإن للتراث العربي مميزات اختصَّ بها، وأصبح خالداً دون  
سواه من تراث كثير من الأمم، ومن هذه المميزات الكثيرة:

### (١) القدم:

لعلَّ المخطوطات العربية أقدم تراث فكري إنساني وصل سالمًا  
إلى عصرنا هذا.

### (٢) الكثرة والتنوع:

لعلَّ المخطوطات العربية من الكثرة بحيث فاقت في عددها  
وتنوع موضوعاتها أي تراث فكري عالمي آخر.

### (٢) السعة والشمول:

فقد وزعت جهود علماء العرب في شتى مناحي الفكر الإنساني  
حيث جالت عبقرياتهم في صندوق المعرفة الإنسانية، فكتبوا في  
الطب والفلك والآداب والشريعة والنبات والحيوان والميكانيك  
والرياضيات والفلسفة وغيرها، مما حدا بمؤرخ حضاري أن يعد  
فنون ما ألفوا فيها نيفاً وثلاث مئة فن.

## (٤) إنسانية التراث:

لم يعرف تاريخ الحضارة حضارة اتسمت بالروح الإنسانية الخالصة كالحضارة العربية، فقد قامت حضارتها لأجل خدمة الإنسان، « الخَلْقُ كُلُّهُم عيالُ الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله ».

## (٥) المنهجية العلمية:

عرف علماء العرب المنهج العلمي، حيث قاموا بإجراء التجارب والكشوف والاستقراء والبحوث العلمية بأنفسهم؛ فعلماء الحيوان بدءاً من الجاحظ وانتهاء بالدميري، كانوا يألّفون عالم الحيوان على ما فيه من خطر، في سبيل الوقوف على تدوين ما يذهبون إليه، وليس أدل على ما نذهب إليه من معايشرة الجاحظ للأفاعي حيناً من الدهر في الصحاري.

## (٦) خلوده:

هذه الصفات أكسبت التراث خلوداً وعظمة، فما زالت الحضارة تستمد منه ما هو نافع، فهذه الأصالة التي تمتع بها جعلته يحتفظ بديمومة خالدة، وهو ما ندعوه بالمعاصرة.



## المخطوط العربي صناعة

ولا بد لدراسة المخطوطات العربية شكلاً ومضموناً من معرفة نشأتها وصناعتها وعوامل تطورها، وكيف وصلت إلينا، والطريقة التي كتبت بها، والاصطلاحات التي تحتوي عليها، وطرق إخراج الكتاب، والوراقة والوراقين، والحبر وأدوات الكتابة، وتطور الخط، وطرق التأليف والإملاء، وكتابة الخطوط والسماعات والإجازات التي في المخطوط، وألوان الفن والتزيينات عليه، وتجليده، وصيانتها، وطرق الترميم، ثم المراجع التي يُعتمد عليها في معرفة أماكن المخطوطات وفهارسها والمنهج العلمي في تحقيقها وإخراجها من بعدُ للناس.



المخطوط العربي الذي سنقوم بدراسته، هو الكتاب المخطوط بخطّ عربي، سواء أكان في شكل صحف، ضم بعضها إلى بعض فصارت كتاباً، أم جعل في كراريس أو كان لفائف.



وبهذا يخرج من بحثنا هذا الوثائق والعهود والرسائل والصكوك المختلفة والنقوش.

### صناعة المخطوط:

لا بد من توفر ما يأتي في صناعة المخطوط:

(١) مواد يكتب عليها كالرق والجلود والبردي والورق وغيره.

(٢) أدوات يكتب بها كالقلم والحبر.

(٣) كاتب يتقن الكتابة.

(٤) علم يحرص العلماء على تدوينه ونشره.

### مواد الكتابة قبل صناعة الورق:

قبل صناعة الورق عند العرب تُظهِر بعض الآثار أن القدماء كانوا يكتبون على قوالب يصنعونها من الطين في حالة طراوته أولاً، ثم تجفف هذه القوالب أو الألواح في الشمس أو تشوى بالنار. وهناك طريقة الحفر على الأحجار.

أما سكان مصر فكانوا يكتبون على القراطيس (ج قرطاس)، وهو ورق البردي، وكان يصنع من لحاء البردي الذي تحدث ابن البيطار عن طريقة تجهيزه في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» (٧٨ / ١). ويمكن تلخيص صنعه بالطريقة التالية: يُصَفُّ لحاء البردي صفّاً طويلاً، ثم تأتي طبقة أخرى فوق الطبقة الأولى، ويصمَّغ اللحاء بصمغ نباتية، فتتكون من جرّاء هذه العملية ألواح مرنة، وتقطع إلى قطع طويلة، وفي عرض مناسب حسب الحاجة، ثم تُلفَّ هذه الألواح بعد جفافها لفاً، ولذلك اصطلح عليها باسم لفائف البردي، أو القراطيس المصري.

أما في الجزيرة العربية وفي عصر البداوة فكانت المواد التي يكتبون عليها مشتقة من صميم البيئة الصحراوية، ولذلك كانوا يكتبون في جاهليتهم على المواد التالية:

(١) العُسْب: جمع عسيب، وهو السَّعْفَة<sup>(١)</sup> أو جريد النخل، وكانوا يكتبون على الطرف العريض منه.

(١) السَّعْف: جريد النخل أو ورقه، وأكثر ما يقال إذا يبست (القاموس).

(٢) الكرائيف: جمع كُرنافة<sup>(١)</sup>، وهو أصل السَّعفة (جريد النخل) الغليظ الملتزق بجذع النخلة.

(٣) اللِّخاف: جمع لَخْفَة، وهي الحجارة البيض الرقاق.

(٤) الأكتاف: جمع كَتِف، وهو العظم العريض الذي للبعير أو الشاة، وفي الحديث النبوي: «إيتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً».

(٥) الأقتاب: جمع قَتَب، وهو إكاف البعير، أي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

(٦) الأديم: وهو الجلد الأحمر أو المدبوغ.

(٧) القزيم: أي الجلد الأبيض الذي يكتب عليه.

(٨) المهارق: جمع مُهْرَق، وهي الصحف البيضاء من القماش، يصلق ثم يصمَّغ ثم يكتب عليه، وهو لفظ فارسي معرَّب.

وكان هذا النوع عزيزاً في الجزيرة العربية، لأنه يُجلب مع القوافل التجارية، ولذلك كانوا لا يكتبون فيه إلا كلَّ أمر مهم، كالمواثيق والعهود، والأمانات.

(١) الكرناف: بالكسر والضم أصول الكَرَبِ تبقى في الجذع بعد قطع السَّعف (القاموس - كرنف).

وهذه المواد هي التي استعملت في عهد الرسول ﷺ وصحابه في كتابة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ففي حديث الزهري: «أنَّ الرسول ﷺ قُبِضَ وَالْقُرْآنُ فِي الْعُسْبِ وَالْقَضْمِ وَالْكَرَانِيفِ»<sup>(١)</sup>. هذا وقد كتبت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه على الرَّقِّ.

وحينها أصبحت الكتابة جزءاً أساسياً من أعمال الدولة الإسلامية - فقد فتحت الأمصار وأبرمت العهود والمواثيق وكثرت المراسلات، ودونت الدواوين في عهد عمر رضي الله عنه - كان من الطبيعي وجود مواد تفي بحاجة الدولة والناس، وكان الفتح الإسلامي لمصر فتحاً في تاريخ الكتابة العربية، إذ تعرّف العرب بمصر بشكل واسع على البردي، وعلى الأقمشة التي تُسمّى بالقُباطي والتي سماها العرب المهارق والقراطيس<sup>(٢)</sup>.

كانت المادة التي اعتمد عليها العرب هي أوراق البردي لأنّ الحصول عليها يسير ورخيص، وأصبحت البردي مادة أساسية للكتابة العربية، وبقيت كذلك في عصر بني أمية وصدر دولة بني العباس إلى جانب الرقوق.

(١) الفائق في غريب الحديث ٢/ ١٥٠ .

(٢) الفهرست لابن النديم ٣١ .

## صناعة الورق عند العرب:

ذُكر الورق كثيراً في الكتب القديمة، لكن المتفق عليه هو أنّ الصينيين أول من عرف صناعته. وقد عرف العرب الورق واستوردوه واستعملوه في الكتابة، ولكنه لم ينتشر بينهم إلا بعد أن صنعه بأيديهم وعلى أرضهم زمن الرشيد.

وبعد أن فتحت سمرقند، وانتصر زياد بن صالح الحارثي حاكمها على إخشيد فرغانة الذي كان يناصره ملك الصين سنة ١٣٣ هـ، فقد عاد المسلمون إلى سمرقند ومعهم العمال الصينيون الذين يتقنون صناعة الورق، وعلى يد هؤلاء قامت صناعة الورق في سمرقند، ثم لم تلبث هذه الصناعة أن انتقلت إلى العالم العربي، فأقام الفضل بن يحيى البرمكي وزير الرشيد مصنعاً في بغداد، واستعمل الورق بدل الرقوق في الدواوين<sup>(١)</sup>.



كان الصينيون يصنعون الورق من نوع من أنواع الخيش أو من شرائق الحرير، لكنّ العرب طوروا صناعته، فاستعملوا الكتان

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ٩٦٢، والمخطوط العربي د. عبد الستار الحلوجي ص ٢٧.

والقطن، لأنه أرخص سعراً من الحرير ولوجوده في بلادهم، وأخيراً جعلوا يصنعونه من النفايات والخرق البالية.

وما لبثت تلك الصناعة أن انتقلت من بغداد إلى الشام وفلسطين منذ منتصف القرن الرابع الهجري، وأصبحت صناعة الورق الشامي تنافس نظيره في سمرقند. ومن الشام انتقلت صناعته إلى المغرب العربي، وما لبثت أن انتقلت إلى صقلية والأندلس، ثم انتقلت بعد فترة إلى أوروبا.

أمّا مصر فلم تدخلها صناعة الورق إلا في عصر متأخر لأنهم تابعوا الكتابة على البرديات حتى القرن الخامس الهجري.

وبظهور الورق في الحياة العربية يدخل المخطوط العربي مرحلة جديدة على طريق نموّه وتطوره، وهي مرحلة تمتاز بكثرة الإنتاج ووفrته وسهولة تداوله بين القارئين، على أن ذلك لم يؤد إلى اختفاء الرقوق والبردي نهائياً، وبقي استعمالها للأموال النفيسة جداً.



بهذه الصناعة الجيدة للورق، ومع انتقالها لأوروبا، نجد أن الفضل الكبير يعود للعرب في حفاظهم على تراث الإنسانية قبل الإسلام أولاً، فكانت العربية هي الوعاء الذي انتقلت فيه الثقافة اليونانية إلى أمم الغرب، كما كان لهم الفضل في إدخال صناعة الورق إلى أوروبا من جهة أخرى، ويعترف فيليب حتّي بأن هذه الصناعة من أجل الخدمات التي أسداها الإسلام إلى أوروبا، ولولاها لما اخترعت الآلة الطابعة، ولولا الورق والمطبعة لما تيسر للعلم انتشاره في أوروبا بهذه الصورة العامة التي انتشر بها.

### أنواع الورق:

للورق أنواع عديدة من أشهرها:

- ١) الورق السليمانى: نسبة إلى سليمان بن راشد عامل الرشيد على خراج خراسان.
- ٢) الورق الطلحي: وينسب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطاهرية في خراسان.
- ٣) الورق الجعفري: وينسب إلى جعفر البرمكي وزير الرشيد.

٤) الورق النوحى: نسبة إلى نوح الساماني.

٥) الورق الطاهري: نسبة إلى طاهر بن الحسين أحد أمراء الدولة الطاهرية<sup>(١)</sup>.

### أدوات الكتابة:

كان للبيئة الصحراوية أثر كبير في استعمال أدوات الكتابة، فقبل أن يعرف العرب الأقلام كانوا يستعملون آلات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة أو على الخشب، وهناك دلائل تشير إلى أن العرب في جاهليتهم عرفوا القلم وكتبوا به.

والقرآن الكريم يورد لفظ القلم بأكثر من موضع، قال تعالى:  
﴿ تَوَالَّفَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١]، وقال أيضاً: ﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ ﴾<sup>(٢)</sup> الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٣، ٤]. وكانت الأقلام تصنع من  
السعف أو القصب، ثم تطورت صناعة الأقلام بما يناسب الورق  
رقةً وصقلاً<sup>(٢)</sup>.

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٢/ ٤٧٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٣٥-٤٣٩.



وبعدها تفنن الصناع والفنانون بصناعة الأقلام وأدوات الكتابة المساعدة، كالدواة والسكين، وزخرفت هذه الأدوات بزخارف ونقوش جميلة.

### الحبر:

ويقال له أيضاً المداد، وإنما سمي الحبر حبراً لتحسينه الخطّ، من قولهم حَبَّرت الشيء تحبيراً أي حَسَّنْتَه.

كان المداد يجلب أولاً من الصين، كما كان يصنع في بلاد العرب، إمّا من العفص أو الزجاج والصمغ<sup>(١)</sup>.

ولعلّ سائلاً يسأل: لماذا كان السواد دائماً هو اللون المفضّل

في الكتابة؟

يعود ذلك إلى سببين:

أولهما: ما يوجد له لون الحبر الأسود على الصحيفة البيضاء من تضاد يساعد على إظهار الكتابة في أوضح صورة ممكنة.

(١) المصدر السابق ٢/٤٦٦ .

وثانيهما: هو أنّ صناعة الحبر الأسود أيسر بكثير من صناعة الحبر الملون، لأنها لا تحتاج إلى ألوان وأصبغ، فالعفص والزاج والصمغ مواد لا تحتاج إلا إلى جهد قليل لإنتاج الحبر منها. أمّا الدواة فكانت تصنع في الجاهلية من الخشب أو الفخار، ثم تطور ذلك إلى المواد الزجاجية والمعدنية<sup>(١)</sup>.



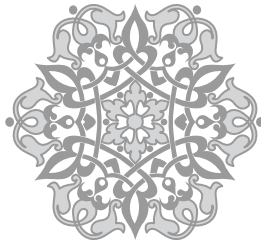
مما سبق يتبين لنا أن مرحلة الكتابة على العسب والأكتاف والأقتاب سواء بآلات حادة أو بالفحم أو بالحبر كانت مرحلة سابقة لنشأة المخطوط العربي، وأنّ الكتاب العربي المخطوط كان أول عهده يكتب على الرق، واتخذ شكل المصحف اشتقاقاً من الصحف، ثم لم يلبث المخطوط أن وجد في أوراق البردي لصناعة المخطوط، وبقي الرق والبردي مادتين للكتابة حتى عصر صناعة الورق على يد العرب في بغداد<sup>(٢)</sup>.

(١) المخطوط العربي، د. الحلوجي ص ٤٢ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي والسماع ١/ ٢٥٢-٢٥٧ .

كتب العرب مخطوطاتهم بالمداد والأقلام القصبية وغيرها، وكانت الأقلام والمحابر من أهم عتاد طلبة العلم، فقد أحصيت محابر الحاضرين في مجلس أبي مسلم الكجي فبلغت أكثر من أربعين ألف محبرة، وكان الطلبة ربما استعملوا هذه المحابر ضد خصومهم في نزاعاتهم معهم؛ يروى أن ابن جرير الطبري حين قدم بغداد سنة ١٩٥ هـ رأى مجالس أصحاب الحديث ومعهم محابرهم، وقيل: كانت ألوفاً.







## الكتابة

### وتطورها عند العرب

الكتابة ظاهرة إنسانية ومعلم من معالم الحضارة، جعلها الإنسان العربي من بين محاولاته للوصول إلى هذه الحضارة، ولقد كان العرب على شيء ملحوظ من الحضارة، لاتصلهم بالأمم المتحضرة التي جاورتهم في الشمال الشرقي للجزيرة في أرض الرافدين، حيث الحضارة التي وصلتهم عن طريق المناذرة، وفي الشمال الغربي حيث الحضارة التي وصلتهم عن طريق الغساسنة، وما كان عليه النبطيون من قبل، وفي الجنوب الغربي حيث حضارة اليمن.

والكتابة عند أمة من الأمم تبدأ وتوجد محصورة في فئة قليلة من الناس، تأخذ بعدها في الازدياد مع الزمن الذي قد يطول إلى عدة قرون قبل أن تشيع في الناس وتصبح وعاء شعبياً من أوعية الثقافة والحضارة.

عرف العرب الكتابة في جاهليتهم، وأثبتت بعض المصادر أسماء المعلمين في الجاهلية فمنهم: عمرو بن زُرارة، وكان يسمى الكاتب، وغيلان بن سلمة جاهلي أسلم يوم الطائف، والطائف أخرجت عدداً من الكتاب كان منهم من ساعد في كتابة المصحف.

وكانت الكتابة في الجاهلية شرطاً لا بد منه للعربي ليغدو ذا مكانة في قومه ويوصف وصفاً خاصاً. ذكر ابن سعد أنّ من كان يحسن العلوم والرمي والكتابة يسمى كاملاً.

مرّت الكتابة في الجاهلية بتطورات كثيرة كان آخرها التحول من الصورة النبطية إلى الصورة المتطورة خلال القرن الخامس الميلادي، ولكنها على الرغم من ذلك كانت وقفاً على فئة قليلة من الناس، ولم تكن تستعمل إلا في أضيق الحدود، وربما كانت الحياة البدوية سبباً مهماً في ذلك. وهناك سبب آخر هو تعذر الوصول بسهولة إلى أدوات الكتابة ووسائلها. لكنّ الشيء الذي لا شكّ فيه هو أنّ العرب عرفوا الكتابة واستعملوها في جاهليتهم، وهناك أخبار كثيرة عن قوم كانوا يعرفون الكتابة في الجاهلية؛ فالبلاذري<sup>(١)</sup> يروي عن العدوي: أنّ

(١) فتوح البلدان ٥٨٠-٥٨٣ .

الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب. ويروي أيضاً عن الواقدي أن: الإسلام جاء وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون، وقد أحصاهم فبلغوا أحد عشر رجلاً وعلى رأسهم سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وتجمع كتب السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ جعل فداء أسرى قريش في غزوة بدر أن يعلم الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة<sup>(١)</sup>.



أمّا الموضوعات التي كتبها العرب في جاهليتهم فهي الكتب الدينية والعهود والمواثيق والأحلاف والرسائل والصكوك والمكاتبات. ومن أشهر هذه العهود والمواثيق صحيفة قريش التي تعاقدوا فيها على بني هاشم وبني عبد المطلب على ألا يزوجهم ولا يتزوجوا منهم، ولا يبيعوا لهم ولا يشترؤا منهم، ثم تعاهدوا وكتبوا ذلك في صحيفة كتبت وعلقت على باب الكعبة.

وكان بعض الشعراء يكتبون قطعاً من أشعارهم ويرسلونها إلى

(١) طبقات ابن سعد ٢/١/١٤.

قبائلهم حينما يكونون في سفر أو أسر، فهذا هو النابغة يكتب اعتذارياته إلى النعمان بن المنذر ويرسلها إليه قبل أن يصل إلى حماة.



وأثير حول المعلقة جدل كثير، وزعم قوم أن المعلقة هي سبع قصائد متخيرة من الشعر القديم كتبت براء الذهب في القُبَاطي، وعُلقت بين أستار الكعبة<sup>(١)</sup>. ولو أنهم تنبهوا إلى المعنى المراد بكلمة المعلقة ما لجأوا إلى هذا الخيال البعيد، فلفظ المعلقة ليس مشتقاً من التعليق، وإنما هو من مادة «عَلَق»، ومعناه الشيء النفيس، وبهذا فيقصد بالمعلقة نفائس الشعر العربي القديم. وهناك أدلة كثيرة تشير إلى نفي تعليقها على أستار الكعبة:

- ١ - حماد الراوية هو الذي جمع السبع الطوال وسمّاها المعلقة، وأراد الافتخار بهذا الاختيار. ووصف ابن الكلبي بأنه يروي العجائب والغرائب، فالرجلان متّهماً في هذه الرواية وتلك التسمية.
- ٢ - لم يذكر أحد الرواة أو العلماء كالجاحظ أو المبرد أو الأصبهاني هذه التسمية، بل إنَّ المفضّل الضبي كان يسميها السبع الطوال.

(١) العقد الفريد ٥ / ٢٦٩ .



٣- لم يعرف العرب في الجاهلية الكتابة بقاء الذهب، ولم يتداول العرب القباطي، وهي الأقمشة التي كان أقباط مصر يصنعونها إلا بعد الفتح الإسلامي، فكسوة الكعبة كانت من الأنطاع والمعافر فكساها رسول الله ﷺ الثياب اليمانية، ثم كساها عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي.

٤- الاختلاف في عدد تلك القصائد، فبعضهم يعدّها سبعاً، وبعضهم الآخر يعتبرها عشراً.

٥- الاختلاف في روايات أبياتها، ولو كتبت وعلقت على الكعبة لحفظت نصوصها.

٦- لا نجد في هذه القصائد تمجيداً للأصنام، وهل يمكن أن تعلق مثل قصيدة امرئ القيس في وصف إحدى صوحيباته متجردة؟! فقدسية الكعبة تمنع من ذلك.

٧- لو أن هذه القصائد علقت على الكعبة لذكرتها كتب التاريخ والسيرة النبوية عند الحديث عن فتح مكة وتحطيم الأصنام.

٨- يتعذر كتابة هذه القصائد، لأن حجم الحروف في ذلك  
 الحين كان كبيراً، وكتابة قصيدة بهذا العدد الكثير من الأبيات أمر  
 عسير المنال<sup>(١)</sup>.



(١) للتوسع في قضية المعلقات انظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي للدكتور  
 شوقي ضيف ص ١٤٠ .



## انتشار الكتابة

### في عصر الرسول ﷺ بفضل القرآن الكريم

بدأت الكتابة في عصر النبوة تنتشر انتشاراً سريعاً واسعاً. وأول آية من القرآن الكريم نزلت تشيد بفضل القراءة والكتابة، وتعهما من أجل نعم الله على عباده، ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١-٥].

هذا أمر إلهي بالقراءة والكتابة، وفي ذلك مرحلة جديدة بعد الجاهلية، وتطور كبير في مجال الكتابة.



## كتابة الوحي:

اتخذ الرسول ﷺ كتاباً لكتابة القرآن الكريم، والرسائل التي يبعث بها إلى الملوك، وكان في مقدمة هؤلاء الكتاب الصحابة الأجلاء: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وغيرهم - رضي الله عنهم - .

وكان هناك نوع آخر من الكتاب لشؤون المسلمين وأموال الصدقات والغنائم وغيرها.

هذا التخصص في الكتابة دليل على انتشار الكتابة وكثرة الكتاب، حتى اختلف في عددهم آئذ فقليل: ستة وعشرون، وقيل: بل أربعون. وليس مستغرباً يعد ذلك أن نجد الرسول ﷺ يحث الناس على تعلّم الكتابة والقراءة، بل ويحث بعض أصحابه على أن يتعلموا لغات أخرى غير العربية، يروي البخاري أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتابة اليهود حتى يكون على حذر من دسائسهم وتحريفهم. وفي رواية أن زيداً تعلم السريانية أيضاً في سبعة عشر يوماً<sup>(١)</sup>.

(١) العقد الفريد ٢/ ١٤٤، المخطوط العربي ٦٦-٦٧ .

وُتُفْتَحُ البلاد في عهد الخلفاء الراشدين فتكثر الدواوين لتسجيل موارد الدولة وأرزاق الجنود والعطاء وخاصة في عهد عمر رضي الله عنه الذي دونت في عهده الدواوين، وجُعل لها كتاب مخصوصون.



### جمع المصحف وكتابته:

نزل القرآن الكريم منجماً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وكان كتابة الوحي يكتبون ما نزل من الآيات تباعاً ويضعونه حيث يأمر الرسول ﷺ أن يوضع بين ما سبق نزوله من الآيات، وكانت كتابته على الرقاع والأكتاف والعُسب، وكان موزعاً في أماكن متعددة عند الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم . وكتب كله في عهد رسول الله ﷺ، لكنه غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور<sup>(١)</sup>.

### جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استحرّ القتل في القراء يوم اليمامة في العام الثاني عشر من

(١) الإتيقان ١ / ١٨١ .

الهجرة، فقيل : إنه قتل منهم يومها عدد كثير ربما وصل إلى سبعمائة قارئ . وقيل : ستون قارئاً، ففزع عمر لذلك واقترح على أبي بكر جمع القرآن خشية ضياع بعض من آياته بمقتل حملته وحافظيه . فتردد الصديق وخاف القيام بعمل لم يقم به رسول الله ﷺ، فردّ عليه عمر : هو والله خير، وما زال يراجع في ذلك حتى شرح الله صدره فأرسل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال له : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمه » . ويقول زيد : « فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن » قال : « فتتبع القرآن أجمعه » (١) .

وهكذا جمع القرآن الكريم في صحائف، مرتب الآيات والسور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر يحتفظ بها حتى توفاه الله، فانتقلت إلى خليفته عمر، ثم آلت إلى ابنته حفصة زوج النبي ﷺ بعد مقتله فبقيت عندها حتى عهد عثمان رضي الله عنه .

(١) صحيح البخاري رقم ٤٠٧١ .

### كتابته في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وكان في زمن عثمان رضي الله عنه فتح أرمينية وأذربيجان، وكان في هذا الفتح شاميون وعراقيون وحجازيون، وجعل كل منهم يقرأ بقراءته يخالف بها غيره، ولم يزل الخلاف يعظم بينهم في القراءة حتى كفر بعضهم بعضاً. ولما رجع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى المدينة من جهاده دخل على عثمان قبل أن يدخل بيته، فوصف له ما يحصل بين الناس، وقال له: « أدرك هذه الأمة يا أمير المؤمنين قبل أن يختلفوا في الكتاب ». فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلني إليّ الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك . فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان: « إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم » ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف وردّ عثمان الصحف إلى حفصة أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه أن يحرق<sup>(١)</sup> .

واختلف في عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه .

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٠٢، الإتيان في علوم القرآن ١ / ١٨٧ .

فالمشهور أنها أربعة، أرسل بها إلى الكوفة والبصرة والشام، وأبقى رابعاً عنده بالمدينة . وقيل هي خمسة، أرسل الخامس إلى مكة . وذهب بعضهم إلى أنها سبعة، أرسل السادس إلى اليمن، والسابع إلى البحرين<sup>(١)</sup> .

كما اختلف في المواد التي كتبت عليها المصاحف هذه، وأكبر الظن أنها كتبت على الرقِّ، لأنه أفضل شيء كان موجوداً، ولأن العرب استعملت الرقِّ في كتابة الأمور ذات الشأن، وبعد التتبع في المكتبات وما ذكر في فهارسها من وجود مصاحف قديمة غير أننا لا نجد نسخة نتمكن من دراية خطها ومدادها وورقها . ولكننا نستطيع أن نؤكد أن المصاحف التي كتبت في عهد عثمان خالية من النقط والشكل .

وجميع المصاحف التي تنسب اليوم إلى عثمان سواء مصحف جامع عمرو بن العاص أو مصحف طشقند وغيره في تركيا، إنما كتبت بفترة متأخرة وبشكل متقن وبطريقة لا يمكن أن ننسبها إلى أهل القرن الأول . وأما ترتيب السور فقال الحافظ ابن حجر : « إنه توقيفي مأخوذ عن النبي ﷺ »<sup>(٢)</sup> .

(١) الإتيان ١ / ١٨٩ .

(٢) الإتيان ٢ / ١٩٧، المصاحف لابن أبي داود ٣٤ .



### كتابة الحديث الشريف:

لا شك أن كتابة الحديث الشريف من أهم عوامل توثيقه إن لم تكن أهمها، وقد ابتدئ بالكتابة في الحديث الشريف منذ عهد النبي ﷺ. وقد أثيرت شبه وقامت اعتراضات حول كتابة الحديث الشريف في زمن النبي ﷺ والصحابة والتابعين. وزعم من أثار تلك الشبه أن الحديث لم ينقل إلا بالرواية الشفهية، حتى دونت السنة في نهاية القرن الأول، فأسهم الحفظ في الذاكرة مع الكتابة في توثيق السنة وصونها.

وأساس هذا الزعم ما روي من نهى النبي ﷺ عامة عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن. ومع هذا كتب كثير من الصحابة بإذن الرسول ﷺ. روي عن أبي هريرة أنه قال: « ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله به عمرو رضي الله عنهما فإنه كان يكتب ولا أكتب ».

وبهذا يظهر أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه كتب صحيفة وسماها الصادقة. وكتب أبو بكر الصديق لأنس بن مالك فرائض

الصدقة، وتوارث هذا الكتاب أحفاد أنس . وكتب ابن عباس رضي الله عنهما الحديث النبوي كذلك، وكان يأتي إلى الصحابة يسألهم عن غزوات النبي ﷺ وسيرته ويكتبها . وكتب تلاميذ أبي هريرة أحاديث كثيرة رووها عنه . وكتب سمرة بن جندب رضي الله عنه صحيفة مشهورة عند المحدثين وقد نقل البخاري بعضاً منها، واشتهرت صحيفة جابر بن عبد الله . أما عبد الله بن عمر فقد كان ينظر في كتبه قبل أن يحدث<sup>(١)</sup> .

تبين مما قلنا أن الكراهة في كتابة الحديث الشريف كانت في بعض الحالات وليس دائماً . وغير عجيب أن تبرز بعض الضوابط لكتابة الأحاديث عند الصحابة منها حفظ الكتاب حتى لا تمتد إليه يد آئمة بالتغيير .



(١) السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ٣٤٣-٣٥٧ .

## مراحل كتابة الحديث الشريف :

١- كتابة الحديث في كراريس صغيرة أطلق عليها اسم الصحيفة على يد بعض الصحابة والتابعين .

٢- تدوين الحديث ؛ وذلك بضم أحاديث من عدة صحابة في موضوع أو أكثر، وكان ذلك في الربع الأخير من القرن الأول .

٣- تصنيف الحديث ؛ ورتبت الأحاديث فيه وفق مضمونها في فصول وأبواب، وقد بدأ هذا التصنيف في الربع الثاني من القرن الثاني، واستمرت هذه الطريقة إلى أن ظهرت في أواخر القرن الثاني للهجرة طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء الصحابة وسميت بالمسند. ثم ظهرت في القرن الثالث الكتب الستة المشهورة .

## الكتابة في العصر الأموي:

دخلت الكتابة في هذا العصر مرحلة جديدة هي مرحلة الشكل والإعجام . فقد بدأ الشكل بوضع نقط على أواخر الكلمات ثم امتد إلى بعض الحروف، ثم تطور إلى الحركات التي نعرفها اليوم .

وكان من أسباب شكل المصاحف كما يقول الداني في كتابه



المحكم<sup>(١)</sup>: « ما شاهده من أهل عصرهم مع قريهم من زمن الفصاحة، ومشاهدة أهلها من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتغير طباعهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه مع مرور الأيام وتطاول الأزمان من تزيّد ذلك وتضاعفه فيمن يأتي بعد من هو لا شك في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه ممن عرض له الفساد ودخل عليه اللحن، لكي يُرجع إلى نقطها ويصاب إلى شكلها عند دخول الشكوك وعدم المعرفة، ويتحقق بذلك إعراب الكلمة وتُدرك به كيفية الألفاظ ».

أمّا من كان أول من نقط المصاحف نقط إعراب فقيّل أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، وقيّل نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ)، ويحتمل أن يكون نصر قد سار على خطا أبي الأسود، وربما استعملوا الحمرة في ذلك .

أمّا إعجام الحروف وهو التنقيط فقد حدث في عهد بني أمية أيضًا؛ وذلك عندما أمر الحجاج كُتّابه أن يصنعوا للحروف المتشابهة في الرسم علامات متميزة بعضها عن بعض . فقام نصر بن عاصم

(١) المحكم في نقط المصاحف للداني ١٨ - ١٩ .

فوضع النقط على الحروف بنفس لون المداد (الحرير)، وكذلك فعل يحيى ابن يعمر . ومع نهاية القرن الأول الهجري نرى كتابات عربية ذات نقطتين إحداهما بلون المداد الأصلي وهو الإعجام، والأخرى بلون مخالف وهي للشكل أو الإعراب . وتتجلى هذه الظاهرة في مصحف معروف بدار الكتب بالقاهرة .

وفي المرحلة الثانية قام الخليل بن أحمد الفراهيدي في العصر العباسي الأول بإبدال النقط التي وضعها أبو الأسود بحركات أعلى وأسفل الحرف . يقول محمد بن يزيد: « فالشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف . فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لثلاث تلتبس بالواو المكتوبة ؛ والكسرة ياء تحت الحرف ؛ والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف »<sup>(١)</sup>.

ولم يكتف الخليل بالفتح والضم والكسر فحسب، وإنما أضاف إليها خمس علامات أخرى هي السكون والشدة والمدة وعلامة الصلة والهمزة، واصطلحوا على أن تكون علامة السكون دائرة صغيرة، أما

(١) المحكم ٧ .

الشدة فشين صغيرة، وأما علامة الصلة فقد رسموها صاداً لطيفة إشارة إلى الوصل، واختاروا للهمزة أعلى حرف العين<sup>(١)</sup>.



### حركة التأليف عند العرب:

منذ منتصف القرن الأول الهجري تقريباً بدأ العلماء بإخراج تأليفهم؛ يروي ابن سعد في طبقاته<sup>(٢)</sup> عن هشام بن عروة أن أباه عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ) أحرق يوم الحمرة سنة ٦٣ هـ كتب فقه كانت له، وكان يقول: لأن تكون عندي أحب إليّ من أن يكون مثل أهلي وولدي. وكانت عند ابن عباس رضي الله عنهما كتب كثيرة. وقبل أن ينقضي القرن الأول وضع نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) كتاباً في العربية كما يذكر ياقوت. وفي الربع الأخير من القرن الأول الهجري كثرت الكتب ووضعت في خزائن خاصة بها.

ولا نكاد نصل إلى أوائل القرن الثاني الهجري حتى نجد الكتب

(١) صبح الأعشى ٣/١٦٤ - ١٧٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/١٣٣.

قد كثرت بين الناس وشاعت، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) كان إذا جلس في بيته، وضع كتبه حوله واشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا حتى قالت له امرأته ذات يوم: والله لهذه الكتب أشدّ علي من ثلاث ضرائر<sup>(١)</sup>.

على أنه ينبغي أن نلاحظ أن كتب القرن الأول وأوائل القرن الثاني لم تكن في أغلبها سوى مباحث مفردة لا يتجاوز كل منها حدود المسألة. ومثال ذلك مسائل نافع بن الأزرق التي تنسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وبظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء بدأ التأليف الذي يتجاوز حدوده القديمة، وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع محدد وإنما يتعرض لأكثر من موضوع. وكان طبعاً أن يبدأ التأليف في الحديث والتفسير والمغازي واللغة قبل غيرها لأنها تخدم النصّ القرآني.

ولم يلبث العرب أن أحسوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم، فظهرت كتب اللغة والشعر والتاريخ متأثرة أول أمرها بطريقة

(١) وفيات الأعيان ٣/٣١٧.

التأليف في الحديث الشريف بإيراد الأسانيد التي تكشف عن مدى الثقة بالخبر .

وهكذا نستطيع القول إن حركة التأليف الفعلية بدأت في القرن الثاني الهجري ولم تلبث أن ازدهرت في أواخره وأوائل القرن الثالث . ونتيجة لهذا التطور السريع في حركة التأليف ظهرت في أواخر القرن الثاني أول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب هي بيت الحكمة التي تنسب للرشيد تارة، وللمأمون تارة أخرى . لكن الأخبار تدل على أنها أنشئت في عصر الرشيد<sup>(١)</sup>، وازدهرت في خلافة المأمون، وكان مركز هذه المكتبة ميداناً للثقافة بأوسع معانيها، وغدت منتدى للعلماء وقاعة بحث للدارسين وموثلاً لترجمة الكتب ونسخها ونشرها .

ومنذ أوائل القرن الرابع نرى خزائن الكتب قد انتشرت في ديار الإسلام، ولعل أعظم المكتبات التي ظهرت في تلك الفترة هما المكتبة الملحقة بقصر الخلافة الفاطمية في مصر، والمكتبة الملحقة بقصر الخلافة الأموية في الأندلس .

(١) الفهرست ٣٨٢ . وانظر كتاب حركة التأليف عند العرب للدكتور أمجد الطرابلسي، طبع بدمشق .





## الترجمة

عرف العرب قبل الإسلام شيئاً من النقل عن الأمم المجاورة، إذ كانت وفود العرب على كسرى وانتقال العرب بالتجارة بين فارس والعراق والحبشة وغيرها يدل على نقل شفوي على الأقل . وإذا كان الحارث بن كلدة وابنه النضر قد تعلموا الطبّ في مدرسة جند نيسابور في فارس فلا بد من أنهما كانا على معرفة باللغة الفارسية (١).

بواعث النقل في الإسلام :

١- حاجة العرب إلى علوم لسيت عندهم، كالطب والفلسفة والحساب والتوقيت .

٢- العلم من توابع الحضارة، حينما تزدهر البلاد اقتصادياً

(١) طبقات الأطباء والحكماء ٦٥ .

واجتماعياً وعمرانياً تتجه النفوس إلى الحياة الفكرية والتوسع في طلب العلم .

٣- رعاية الخلفاء للنقل والنقلة : فقد كان الخلفاء يدفعون للناقل ثقّل الكتاب المنقول ذهباً . فالخليفة المأمون جمع الناقلين في بيت الحكمة وطلب منهم نقل الكتب الفلسفية خاصة .

٤- احتكاك العرب بغيرهم من الأمم أطلعهم على ثقافات جديدة .

### بدء النقل :

تذكر المصادر أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان درس الكيمياء، وأمر بنقل بعض كتبها إلى اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

وأول نقل في الدولة العباسية قام به عبد الله بن المقفع، فقد نقل عدداً من كتب السلوك إلى اللغة العربية، ووضع كليله ودمنة بالاستناد إلى قصص فارسية وهندية .

ومنذ أيام أبي جعفر المنصور أصبح النقل في رعاية الدولة وعلى

(١) الفهرست ٤٩٧ - ٤٩٨ .

ذلك سار هارون الرشيد وابنه المأمون، وفي أيام المأمون اتسع كثيرًا. فأنشأ المأمون بيت الحكمة ووقف عليها الأموال للذين يريدون أن ينقطعوا إلى ترجمة الكتب للعربية. ولما انتصر المأمون على الروم سنة ٢١٥ هـ طلب من ملكهم أن يعطيه كتب الفلسفة الموجودة لديه مقابل الغرامة التي فرضها عليه. فقبل «توفيل» ملك الروم وعده كسبًا كبيرًا له، أما المأمون فعُدَّ ذلك نعمة عظيمة عليه.

وأول ما بدأ المسلمون ترجمته هو الكتب العلمية العملية كالرياضيات والفلك والطب ثم اتجهوا نحو كتب الفلسفة.

### طريقتا النقل :

**الطريقة اللفظية:** وهي طريقة يوحنا بن البطريق؛ وذلك أن يأتي الناقل إلى النصّ فينظر في كل كلمة بمفردها، ثم يصنع مرادفها في العربية، وأخذ على هذه الطريقة مأخذ منها أن عددًا كبيرًا من الكلمات في كل لغة ليس له مرادف حقيقي. وأنه لا يمكن نقل المجازات والتشبيهات من لغة إلى أخرى بالطريقة اللفظية. ثم إن في هذه الطريقة مشكلة أخرى وهي أن أصحابها كانوا أحيانًا لا يجيدون اللغة اليونانية كما كانوا أحيانًا أخرى لا يجيدون العربية، فكان أحدهم ينقل

الكتاب من اليونانية إلى السريانية ثم يأتي آخر فينقله من السريانية إلى العربية .

الطريقة المعنوية: وهي طريقة حنين بن إسحاق ؛ وذلك أن يأتي الناقل بالجملة فيحصل معناها في ذهنه، ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في المعنى .

### طبقات الناقلين:

كان جميع الناقلين في البداية من السريان، لأن اللغة السريانية كانت هي اللغة الثانية السائدة في الشام والعراق . وكانوا ينتمون إلى أسر معينة كآل ثابت بن قرّة وغيرهم . وفي العصر العباسي بدأت حركة النقل عن اللغات الأجنبية الأخرى، فنقلت كتب الفلك عن الفارسية والهندية واليونانية . وكان من أقدم المترجمين وأقدرهم حنين ابن إسحاق وثابت بن قرّة وقسطا بن لوقا وغيرهم .

### نتائج النقل:

١ - اتساع الثقافة العربية بما دخل عليها من ثقافات الأمم .

- ٢- اطلاع العرب على علوم كانوا بحاجة إليها .
  - ٣- ارتقاء الحضارة العربية في الحياة العملية العامة .
  - ٤- اتساع اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والتعابير الفلسفية، مما دلّ على قدرة العربية .
  - ٥- تطور الأدب العربي من ناحيتين: بما كان قد زاد من الفنون والخصائص والمعاني بالاطلاع على الحياة والفكر عند الأمم، ثم بتسرب عدد من المدارك والتعابير الفلسفية إلى الأدباء .
  - ٦- الاستفادة من المقاييس والمدارك في معالجة عدد من العلوم في المنهج المنطقي والبراهين .
- وكان من سيئات النقل أنّ الفلسفة اليونانية خاصة لم تصل إلى العرب كما وصفها أصحابها؛ لأسباب منها :
- ١- ضعف الناقلين عن الإحاطة بالموضوعات التي كانوا ينقلونها وخاصة من كان يتولى عملاً في غير اختصاصه .
  - ٢- ضعف الناقلين سواء في اللغة المترجم منها، أو العربية .

٣- قلة الأمانة في عدد من الناقلين .

٤- طمع الناقلين في التكسب بالنقل حتى كانوا ينقلون الفصل ويسمونه كتاباً، ويبدلون أشياء يسيرة في كتاب منقول ثم يبيعه على أنه نقل جديد، أو ينسبون كتاباً إلى غير صاحبه .





## الوراقة والوراقون

كانت الرواية الشفوية أول محاولة لنقل المعرفة والعلوم عند جميع الشعوب والحضارات، ولكن الرواية في الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام، ورواية الحديث بشكل خاص اقترنت منذ البداية بالحرص الشديد والدقة والأمانة، ولقد كانت الكتابة في البداية قليلة، ومع ظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء بدأ التأليف يتجاوز حدوده التقليدية، وأصبح العلماء أولاً يلتزمون بموضوعات محددة يسمونها المسائل، ومع انتشار مجالس الإملاء ازدهرت حركة التأليف ازدهاراً واضحاً خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، وشجّع ذلك صناعة الورق وظهور حركة الوراقين .

عرّف ابن خلدون الوراقة في مقدمته<sup>(١)</sup> بقوله: «إنها معاناة

(١) مقدمة ابن خلدون ٩٦٢ .

الكتب بالانتساخ والتجليد وسائر الأمور المكتبية والدواوين .  
والوراقون هم : الذين يعانون انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها،  
وقد يقال لمن يبيع الورق والأدوات الكتابية والكتب الورق أيضاً .  
ويمكن أن نقول إن حوانيت الوراقين كانت تقوم مقام دور النشر  
والتوزيع اليوم، إضافة إلى أنها تبيع الورق والأدوات الكتابية كالمداد  
والأقلام، وتعنى بصناعة التجليد .

بدأت صناعة الوراقة تزدهر بعد جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن  
الكريم ونسخه في المصاحف . وفي العصر الأموي نجد معاوية يأمر  
ناسخيه بكتابة سير الأولين . وكان مالك بن دينار في هذا العصر أيضاً  
(ت ١٣٢هـ) ينسخ المصاحف بأجرة . وكذلك خالد بن أبي الهياج  
الذي وصف بحسن الخط وإتقانه<sup>(١)</sup> .

ومن الواضح - كما يقول ابن خلدون - أن تنتشر هذه الصناعة  
في المدن الرئيسية ( الأمصار العظيمة العمران ) ؛ ففي المدينة المنورة  
انتشر نسخ المصاحف أولاً، وفي دمشق كانت في دار الخلافة خزانة  
أمر الخلفاء بنسخ الكتب ووضعها فيها .

(١) الفهرست ١٠ .



ولكن تحديد بداية ظهور صناعة الوراقة بشكل متكامل و متميز لا يمكن أن نجدها إلا مع وجود الورق وانتشاره ورخص ثمنه، وكان ذلك كما مرّ معنا في زمن الرشيد . ومن أجل ذلك تتردد أخبار الوراقين في بغداد فيذكر ياقوت أن علي بن المغيرة كان وراقاً في عهد الرشيد، وكان علان الشعبي ينسخ في بيت الحكمة . ونجد في كلام ابن النديم أنّ جودة الخط، وصحة النقل ودقة الضبط كانت شروطاً أساسية للنجاح في صناعة الوراقة .

وفي القرن الثالث تصبح الوراقة صناعة متميزة لها أصولها وقواعدها، ويقوم من أجلها سوق يعرف بسوق الورّاقين، يضم أكثر من مائة حانوت . ولم تكن تلك الحوانيت مجرد دور للنسخ، وإنما كانت مجالس للعلماء والشعراء وملتقى الطبقات العلمية ؛ وكان الجاحظ يكتري دكاكن الورّاقين ويبيت فيها للنظر والقراءة والنقل . وبعده بقرن تقريباً كان المتنبّي (ت ٣٥٤هـ) يكثر ملازمة الورّاقين . كما كان أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) يدخل سوق الورّاقين وهي عامرة بالدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً منها . وفي هذا دليل على أهمية الدور الذي كانت تقوم به تلك الحوانيت في مجال الثقافة .

وكان يقوم على الوراقة علماء أجلاء لعل من أبرزهم في القرن الرابع الهجري محمد بن إسحاق النديم صاحب كتاب الفهرست الذي يدل على مبلغ علمه، وسعة اطلاعه، وإلمامه بما صُنّف من الكتب العربية في شتى فروع المعرفة، وعمله يُعد أول عمل في تصنيف العلوم. ومن أشهر الورّاقين في القرن الرابع أيضًا أبو حيان التوحيدي الذي ترك بغداد ورحل إلى الصاحب بن عبّاد ليتخلص من (حرفة الشؤم) على حد تعبيره<sup>(١)</sup>.

كانت هذه الصناعة رائجة، وسوقها نشطة في القرنين الثالث والرابع الهجريين وكان يفد إليها جميع المشتغلين بالعلم بقصد الشراء أو الاطلاع أو النسخ أو الاستنساخ. وكان بعض الورّاقين يسعون إلى المؤلفين يحصلون منهم على ما يمكن أن نسميه حقوق النشر في العصر الحديث، ثم يعمدون إلى نسخها وبيعها لطلاب العلم.

وجعل بعض الورّاقين يباشرون أعمالهم في دور العلماء، وكان بعضهم موظفين عند علماء أو أثرياء ممن يرغبون بجمع الكتب. واختص ورّاقون بعلماء معينين يلزمونهم، وربما اضطر ورّاقون إلى

(١) معجم الأدباء ٦/١٥.

المبيت عند المؤلفين في فترات التأليف ؛ فحينما بدأ يعقوب بن شيبية السدوسي (ت ٢٦٢هـ) في تصنيف مسنده، كان في منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان يبيت عنده من الورّاقين لتبييض المسند ونقله<sup>(١)</sup>.

هذه صورة لحركة الورّاقة منذ نشأتها إلى أن بلغت قمة مجدها في القرن الرابع الهجري، وهي صورة مشرقة تدعو للفخر والإعجاب، لأنها تعكس النشاط الفكري الكبير، فقد كانت بغداد في ذلك العهد تتمتع بغنى فكري منقطع النظير، ولكن هذه الصورة المضيئة لم تكن تخلو من جوانب مظلمة، فلم يكن كلُّ الورّاقين من الثقات وأهل الفضل والعلم، وإنما كان من بين المحترفين منهم من يتصف بالمبالغة والكذب والاختلاق. ومن المعلوم أنّ الورّاقين زادوا في معجم العين وأفسدوه، وقدّم لنا السيوطي في كتابه المزهر دراسة دقيقة للأراء التي وردت في هذا الكتاب ومدى صحة نسبتها للخليل<sup>(٢)</sup>.

ولقد وجد بعض الورّاقين مجالاً واسعاً للكسب في كتب السحر والخرافات لأنها كما يقول ابن النديم كانت مرغوبة في أيام خلفاء بني العباس وخاصة في أيام المعتمد، فصنف الورّاقون وكذبوا وكان قسم

(١) المخطوط العربي ص ١٢٦ .

(٢) المزهر ١/ ٨٢ - ٨٣ .

منهم ينسب كتباً إلى غير أهلها رغبة في إشهار المؤلف أو الكتاب أو موضوعه .

نستلخص فيما مضي أنه :

لم يكن باستطاعة أي إنسان أن يحترف مهنة (الوراقة) إذ إن الشرط الأول والرئيسي لهذه المهنة هو جودة الخط ووضوحه وصحته، وكان من الضروري أن يكون الوراق على حظ من الثقافة والمعرفة ليفهم ما ينسخ ولا يكون نسخه آلياً، ومن أهم صفات الوراق: الأمانة فيما ينقل وينسخ، وأن يكون على معرفة تامة بعلماء عصره ومن قبلهم ويعرف منزلتهم العلمية . وهذا ما نجده من أوصاف عند ابن النديم الوراق المشهور .

وفي كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي نهاج فريدة للوراقين المشهورين، وقد انتشرت أسواق الوراقين في كل مدينة كبرى من مدن العالم الإسلامي .. ففي بغداد كان سوق الوراقين زمن ابن النديم في الجانب الشرقي، ويبدو أنه كان في بغداد أكثر من سوق، وفي فسطاط مصر<sup>(١)</sup> كان للوراقين سوق عظيمة وكذلك الحال كان في دمشق وقرطبة.

(١) الخطط المقرزية ٢/ ١٩٥ .



## بداية التأليف

منذ منتصف القرن الأول الهجري تقريباً بدأت التأليف العربية تخرج إلى الناس، يحدثنا ابن النديم أن عبيد بن شرية وفد على معاوية فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم، وكان استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه إلى ما سأل، فأمر معاوية أن يدون ذلك، ويروى أن لعروة بن الزبير كتباً في الفقه. ورأينا كيف كان ابن عباس يكتب سيرة الرسول ﷺ وغزواته. ويقال: إن خالد بن يزيد بن معاوية كان على علم بالطب والكيمياء، وهو أول من ترجمت له الكتب في هذين العلمين. ويذكر ابن خلكان في كتابه الوفيات أن لخالد ثلاث رسائل في صنعة الكيمياء، ولكن ابن خلدون في مقدمته ينفي ذلك.

وكثرة التأليف في ذلك العصر أدت إلى وجود خزائن كتب في قصور الخلفاء، ويلاحظ أن كتب القرن الأول لا تتعدى مباحث في

حدود المسألة الواحدة، والكتاب كان بمثابة فصل واحد من فصول كتاب بالمعنى المعاصر.

ومع انتشار الحلقات العلمية والمجالس في القرن الثاني بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة، وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع واحد، وإنما يتناول أكثر من موضوع في المجلس الواحد.

فالمفسر مثلاً كان يورد الآية الكريمة، ثم يشرح ألفاظها من الحديث الشريف، ومن الشعر والنثر والأمثال، ويبحث عما يناسب ذلك في اللغة، واستمرت هذه الطريقة إلى وقت متأخر من وجود مجالس الإملاء.

ويصف التوحيدي مجلس محمد بن كيسان النحوي في أواخر القرن الثالث فيقول: كان يبدأ بالقرآن والقراءات، ثم بأحاديث الرسول ﷺ، ثم يتكلم عن المعاني اللغوية.

ويعود السبب في ذلك إلى أن المجالس لم تكن معدة ولا مكتوبة وإنما تخضع للمناسبات والظروف، وكان سائر الأئمة يتكلمون من محفوظهم.

وكان من الطبيعي أن يبدأ التأليف بالتفسير والحديث والمغازي. ثم ظهرت في القرن الثاني الكتب المبوّبة، وكذلك شهد القرن الثاني بدايات التأليف في النحو، ثم ظهرت كتب اللغة والشعر والتاريخ، وفيها نجد طريقة الإسناد التي تكشف عن مدى الثقة والاطمئنان في الرواية.

وفي القرن الثالث نجد الإمام محمد بن الحسن (ت: ٢٠٤هـ) تلميذ أبي حنيفة يكثر من التأليف في الفقه. ونقع على مؤلفات كثيرة في علوم شتى لجابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ). وليس هناك شك في أن كثيراً من هذه الكتب كان مجرد رسائل صغيرة، وللتوسع في معرفة ما أُلّف في تلك الفترة إلى منتصف القرن الرابع يرجع إلى كتاب الفهرست لابن النديم الذي انتهى من تأليفه سنة ٣٧٧هـ.



ومن دراستنا للمخطوطات العربية وحركة التأليف عند العرب نستطيع أن نتبين طريقتين رئيسيين:

الطريق الأول: طريق التأليف؛ وهو أن يعكف المؤلف على جمع مادة كتابه، ومراجعتها، وتهذيبها وتنقيحها، والإضافة إليها، ثمَّ يخرجها للناس<sup>(١)</sup>.

والطريق الثاني: المسودات، وقد عرفت عند المؤلفين العرب منذ عصور التأليف الأولى، فابن النديم يذكر أن ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ألف كتاباً سمّاه أدب الكاتب ولم يجرّده من المسودة، وأنَّ الرازي (ت ٣١١ هـ) ألف كتاب الحاوي ولكنه توفي ولم يفسح له في الأجل ليحرره<sup>(٢)</sup>.

وعند دراستنا للمخطوطات ينبغي أن ننتبه إلى هذه الحقيقة، وألا نقلل من شأن مخطوطة يغلب عليها الاضطراب واختلاط السطور فقد تكون مسودة المؤلف وبذلك تكون أوثق وأقوم من أي نسخة أخرى متأخرة.

(١) فقه اللغة للثعالبي ص ٢٤، ٢٧١.

(٢) المخطوط العربي للحلوجي ١٣٣.



وربما تراءى للمؤلف بعد تبييض كتابه وإخراجه أن يضيف إليه  
جديداً بحيث يستغرق هذا الجديد مجلداً كما في تمة اليتيمة.

وكان بعض المؤلفين يعودون إلى كتبهم فيعيدون فيها النظر، ثم  
يخرجونها للناس مرة أخرى، ويروي ياقوت أن كتاب «البيان والتبيين»  
للجاحظ له نسختان أولى وثانية، والثانية أصح وأجود.

وقد يتوفى المؤلف قبل أن ينتهي إلى الصورة التي يرضاها لكتابه  
فيكمله تلاميذه من بعده، فمعجم العين للخليل أكمله تلميذه الليث  
ابن رافع، وكتاب سيبويه أخرجه الأخفش الأوسط، وكتب الإمام  
الشافعي رواها تلاميذه عنه، وكتاب الصحاح للجوهري توفي مؤلفه  
قبل أن يتم تبييضه، فيبضه تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق.



تُظهر هذه الأمور أن ما نجده في الكتب من أخطاء وأوهام إنما  
يكون وقع فيها التلاميذ، وكذلك فربما كان الاختلاف بين النسخ  
بسبب اختلاف روايات الكتاب عن المؤلف؛ فكتاب الموطأ للإمام  
مالك له روايات كثيرة أهمها: رواية محمد بن الحسن الشيباني، ورواية

يحيى بن يحيى الليثي. وديوان حسان بن ثابت منه نسخ برواية السكري عن ابن حبيب، ونسخ أخرى برواية الأثرم تلميذ الأصمعي، وربما كان للورّاقين نصيبهم، فقد كانوا يزدون وينقصون في الكتب. ومن الكتب التي لم تسلم من عبثهم «معجم العين».





## الأمالي ومجالس الإملاء

ازدهرت مجالس الإملاء في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وبلغت من الكثرة بحيث ليظن أن الإملاء كان الطريقة الغالبة في التأليف بدليل ما يقوله ابن النديم عن الحسن بن عيسى الرماني: إن أكثر ما يصنفه يؤخذ عنه إملاء، والإملاء كما يقول حاجي خليفة<sup>(١)</sup>: «أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتب التلامذة، فيصير كتاباً، ويسمونه الإملاء والأمالي، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرهم في علومهم».



(١) كشف الظنون ١/ ١٦١ .

ولم يكن يتصدى للإملاء إلا من وثق بنفسه ووثق الناس به وشهدوا له بالعلم والفضل، فقد كان الإملاء أعلى وظائف الحفاظ في اللغة، كما أنّ الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء كما يقول السيوطي<sup>(١)</sup>.

وكان لكل من يشترك في هذه المجالس مجلس خاص به في وقت معين، يعرف بمجلس الإملاء، يحضره كل من له اهتمام بإدّة تخصصه. وكان المجلس يستهلّ عادة بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم يبدأ الشيخ في الإملاء، وكان السامع يكتب في أول كل مجلس: مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد ما يسمع من الشيخ تفسيراً كان أو حديثاً أو نحواً أو لغة.



ونرى في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي<sup>(٢)</sup> صورة لمجالس الإملاء هذه، وما وصلت إليه مجالس الحديث خاصة من ضخامة، فقد كان مجلس الواشجي (ت ٢٢٤ هـ) يحضره أربعون ألف رجل، وبلغ المعتصم كثرة جموع الحاضرين فأمر بحزر عددهم فوجّه رعاة

(١) المزهر ٣١٣/٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣٤٨/١٢.

الغنم فحزروا المجلس عشرين ومائة ألف، وكان مجلس جعفر الفريابي (ت ٣٠١ هـ) ببغداد يحضره نحو ثلاثين ألفاً لسماع الحديث. ولضخامة هذه المجالس لم يكن صوت الشيخ يسمع جموع الحاضرين، ومن أجل ذلك ظهرت في المجالس فئة تعرف بالمستملين، وهم الذين يرددون كلمات الأستاذ حتى يسمع الناس، وربما أعاد المستملي مرات كثيرة حتى يسمع الحاضرون. قال عاصم الواسطي: حدثنا الليث بن سعد، وأن الحاضرين كانوا يسألونه أن يعيد حتى أعاد عليهم أربع عشرة مرة.

وربما كان في المجلس أكثر من مستمل، قيل: إن في مجلس أبي مسلم الكجّي سبعة مستمّلين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر، وبلغ عدد من كان في المجلس نيفاً وأربعين ألف محبرة سوى النظارة.

ولقد بلغ من أهمية هذه المجالس أن الخليفة كان يحضر بعضها بنفسه، وربما سئل خليفة عن أمنياته فيقول: أن أجلس وحوالي التلاميذ، ويقول المستملي: حَدَّثَنَا فلان.



والظاهرة التي تلفت النظر في تلك المجالس أنها كانت تتسم بأمانة علمية منقطعة النظير؛ فقد حكى الدارقطني أنه حضر مجلس إملاء أبي بكر الأنباري فسمعه يصحف اسماً أورده في إسناد حديث فقال: (حيّان) بدل (حبان)، يقول الدارقطني<sup>(١)</sup>: « فلما فرغ من إملائه تقدمت إليه فذكرت له وهمه وعرفته صواب القول فيه وانصرفت، ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه فقال أبو بكر للمستملي: عرف الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال».

وهذه أرقى مراتب الأمانة العلمية، وأروع مظاهر الخلق العلمي الأصيل<sup>(٢)</sup>.

وأنتجت مجالس الإملاء هذه كتباً كثيرة ظهرت باسم الأمالي، وأفرد حاجي خليفة فصلاً خاصاً بها في كتابه كشف الظنون.

(١) معجم الأدباء ١٨/٣٠٨.

(٢) المخطوط العربي ١٤٠.

وأقدم الأمالي هي أمالي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري  
تلميذ أبي حنيفة (ت ١٨٣ هـ)، وهي في الفقه.



وبمرور الزمن كثرت الأمالي وتنوعت؛ ففي أواخر القرن  
الثالث وأوائل القرن الرابع خرجت الأمالي كثيرة، أشهرها أمالي  
ثعلب والزجاج وابن دريد، وأمالي أبي علي القالي التي أملاها من  
حفظه في الأخمسة (أي في يوم الخميس) بقرطبة وفي المسجد الجامع  
بالبزهاء المباركة، وأودعها فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار  
وأنواعاً من الأمثال وغرائب من اللغات<sup>(١)</sup>.

وقبل نهاية القرن الرابع ظهرت أمالي بديع الزمان الهمداني (ت  
٣٩٨ هـ).

على أن ظاهرة الإملاء لم تستمر بدرجة واحدة بالنسبة لشتى  
فروع المعرفة، فقبل أن ينقضي القرن الرابع كان إملاء اللغة قد بدأ  
ينقطع، بينما استمر إملاء الحديث بعد ذلك مئات السنين.

(١) الأمالي للثعالبي ٣/١.

يقول السيوطي: « وآخر من علمته أملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي، له أمال كثيرة في مجلد ضخّم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، ولم أقف على أمالٍ لأحد بعده»<sup>(١)</sup>.

أمّا الاختلاف في نسخ الأمالي فيعود سببه إلى أن الكتاب الواحد يتعرض للزيادة والنقصان إذا تكرر إلقاؤه في أكثر من مجلس، ومن أمثلة ذلك مجالس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، واختلاف نسخها زيادة ونقصاناً باختلاف رواياتها.

وهكذا كانت الأمالي تستوي كتباً في أيدي الناس، وكان الوراقون يقومون بما تقوم به دور النشر اليوم<sup>(٢)</sup>.



(١) المزهر ٢/ ٣١٤.

(٢) للتوسع انظر: الجامع لأخلاق الراوي والسماع للخطيب البغدادي ٢/ ٢٥-٣٨، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض ٦٨-٧٠.





## كتاب المخطوط

### عنوان المخطوط:

في بداية صنع الكتاب العربي لم يكتب العرب في صفحة عنوانه اسم الكتاب ولا اسم المؤلف، فقد كانوا يتركون هذه الصفحة بيضاء خوفاً من طمس الكلمات أو التلوث، أو لتجليده أو لوضع الزخارف عليها . وكان النساخون يضيفون عنوان الكتاب واسم المؤلف فيما بعد، وكان بعضهم ينسخ الكتاب دون أن يذكر شيئاً في صفحة العنوان . ثم يأتي آخر فيضيف العنوان بخط مخالف ومتأخر، وقد يخطئ في التسمية أو نسبة الكتاب للمؤلف .

ونجد في القرن الخامس وما بعده مخطوطات كثيرة بخط مؤلفيها يذكرون اسم الكتاب ومؤلفه على صفحة العنوان.

## بداية المخطوط :

كان الكاتب يبدأ عادة بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ، ثم يذكر سنده حتى يصل إلى المؤلف، مع ذكر التاريخ في كل تلقٍ عن رجال السَّنَد، ثم ينتقل بعد ذلك إلى اسم الكتاب والمؤلف والموضوع والغرض والمنهج مع براعة الاستهلال . وهذه المقدمة تفيدنا في أمور منها :

- ١- عنوان الكتاب .
- ٢- اسم المؤلف
- ٣- أبواب الكتاب وفهرسه .
- ٤- تقديم لموضوع الكتاب بما يناسبه .

## ملاحظة:

ويجب التنبه إلى أن العرب كانت تصنع فهارس الكتب في أول كل كتاب وليس في آخره كما يفعل الغربيون اليوم، كما أنهم يضعون خطأً فوق الكلمة أو الجملة التي يراد التنبيه إلى أهميتها لا تحتها

كما يفعل الغربيون أيضًا، كذلك فإنهم لم يفرقوا بنوع المداد والخط لعنوانات الفصول في البداية، ثم في المرحلة الثانية فرّقوا في ذلك .

### حواشي المخطوط :

منذ بدأ العرب الكتابة على المخطوطات كانوا يتركون مساحة بيضاء تحيط بالمساحة المكتوبة من الصفحة، وكانت تتناسب مع مساحة الصفحة، ولكنها كانت دومًا بنسب متساوية . وكانت أوائل السطور وأواخرها متساوية . وكوسيلة لذلك كانوا يستعملون المدّ في بعض الكلمات أو المطّ، وذلك لإتمام سطر أو لتحسين كلمة، على أن لا يكثر ذلك في الصفحة الواحدة، وألا يستعمل إلا في أواخر السطور وأواسطها لا في أوائلها، ولا يكرّره في سطرين متتاليين، وأن يكون ذلك في الكلمات التي على أربعة أحرف . لذلك نجد المخطوطات متساوية السطور في الطول، متفقة في نقطتي البدء والنهاية .

### التسطير :

لم يستعمل العرب التسطير في مخطوطاتهم، وربما استعملوا ذلك في المصاحف والكتب الكبيرة بوساطة خيط أو غير ذلك . وكانت

لهم قواعد خاصة في الكتابة حتى لا يكون فرق بين مسافات الأسطر، وذلك بأن تكتب أعالي الألفات واللامات والكافات المنتصبة والطاءات متآزية على مقدار واحد غير متفاضلة، وتجعل أسافل الحروف المعرّفة كالصادات والسينات والنونات والياءات متساوية بمقدار واحد، فإنّ الأسطر بذلك تسلم من الاعوجاج.

### حسن الكتابة وأسلوبها :

أوجب العلماء على الناسخ أن يحسن خطه وصحته، وأن يختار له التحقيق دون المشق والتعليق . والمشق: سرعة الكتابة . والتعليق: خلط الحروف التي ينبغي تفريغها، وكرهوا الخط الصغير إلا أن لا يجد في الورق سعة، أو أن يكون رَحَّالاً يحتاج إلى تصغير الخط ليخف عليه مجمل الكتابة، كما كرهوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه فلا يكتب عبد في سطر ولفظ الجلالة في سطر آخر أو الجمل التي يستحسن وصلها كالصِّفة والموصوف<sup>(١)</sup>.

(١) للتوسع انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب «الوافي بالوفيات» للصلاح الصفدي.

## علامات الترقيم :

استعمل العرب منذ البداية النقطة، أو ما يقوم مقامها كأداة للفصل بين الجمل أو بين الأحاديث . ولذلك استعملوا الدائرة في المخطوطات الأولى، ثم وضعوا نقطة داخل الدائرة دليلاً على المراجعة أو البلاغ في السماع أو المقابلة . كذلك استعملوا المصطلح: «انتهى» على نهاية القول المنقول ويختصرونها بالألف والهاء: «اه» .

## ترقيم الأوراق والصفحات :

وحتى عصر متأخر لم تخضع المخطوطات لأي نوع من الترقيم للصفحات، ولكي لا يضطرب ترتيبها، أو تختلط قبل التجليد كانوا يكتبون الكلمة الأولى من كل ورقة يُسرى في ذيل الورقة اليمنى . أما الورقة اليمنى فلا حاجة لكتابة ذلك لأن الكلام متصل بين وجهي الورقة اليمنى وسيقلب القارئ الورقة ويقرأ ما على ظهرها، وكانت هذه الكلمات التي توضع في ذيول الصفحات اليمنى تسمى (التعقيبات).

## نهاية المخطوط :

لا بد من وجود عبارة تدل على نهاية الكتاب أو إتباعه بأجزاء أخرى، وذلك مثل « تم الكتاب » أو « تم الجزء الأول من كتاب كذا، ويليه الجزء الثاني وأوله كذا »، ثم يأتي من بعد ذلك اسم الناسخ وتاريخ النسخ والمكان أحياناً . والتاريخ عادة يحدد بما مضى من الشهر أو ما بقي منه ؛ فإن كان الماضي أقل من نصف شهر قيل : لكذا ليلة مضت من شهر كذا، وإن كان الباقي أقل من النصف قيل : لكذا ليلة بقيت من شهر كذا، ويحسن التنبيه من الكاتب إلى أن الكتاب بخط المؤلف أو غيره . وتأتي أهمية ذكر التاريخ حين تحديد وفاة صاحب الكتاب مثلاً . وهذا ما فعله ياقوت حين لم يعثر على تاريخ وفاة صاحب الصحاح : الجوهري، ولكنه وجد نسخة من الكتاب بخط الجوهري نفسه، كتبها سنة ٣٩٦هـ، فتبين له أن وفاته كانت بعد هذه السنة . وكذلك نفع على توثيق لحادثة تاريخية يؤرخ بها الناسخ مثلاً فقد جاء في نهاية مخطوط شرح العقيدة الطحاوية للعلامة الغنيمي الميداني أنه انتهى من تأليفه عند خروج إبراهيم باشا المصري من بلاد الشام .



## توثيق الكتاب المخطوط بعد كتابته

### ١- المقابلة بين النسخ :

يقول العلموي في كتابه المعيد في أدب المفيد والمستفيد : « على طالب العلم مقابلة كتابه بأصل صحيح موثوق به ، ولذلك قيل : من كتب ولم يعارض ، أي لم يقابل ، فقد أخلّ وقصّر . وتكون المقابلة كلمة كلمة حتى يكون طالب العلم على ثقة ويقين<sup>(١)</sup> . قال عروة بن الزبير لابنه هشام رضي الله عنه : كتبت ؟ قال : نعم . قال : عرضت كتابك ؟ أي على أصل صحيح . قال : لا ، قال : لم تكتب .

### ٢- إصلاح الخطأ :

أوجب الأقدمون الالتزام بالنص وعدم الإقدام على تصحيح

(١) المعيد في أدب المفيد والمستفيد للعلموي ص ٢٠٨ ، والإلماع ص ١٥٨ .

ما فيه من الخطأ . يقول القاضي عياض في الإلماع : « الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ نقل الرواية كما وصلت إليهم وسمعوها، ولا يغيروها في كتبهم حتى اطرردوا ذلك في كلمات من القرآن استمرت الرواية في الكتب عليها بخلاف التلاوة المجمع عليها، ولم يجيء في الشاذ من ذلك في الموطأ والصحيحين وغيرهما حماية للباب، لكن أهل المعرفة منهم ينبهون على خطئها عند السماع والقراءة وفي حواشي الكتب ويقرؤون ما في الأصول على ما بلغهم . ومنهم من يجسر على الإصلاح، وكان أجراًهم على هذا من المتأخرين القاضي أبو الوليد هشام الكتاني الوقشي، فإنه لكثرة مطالعته وتفننه كان في اللغة وأخبار الناس وأسماء الرجال وأنسابهم وثقوب فهمه وحدة ذهنه جسر على الإصلاح كثيراً، وربما نبه على وجه الصواب، لكنه ربما وهم وغلط في أشياء من ذلك، وتحكم فيها بما ظهر له أو بما رآه في حديث آخر، وربما كان الذي أصلحه صواباً وربما غلط فيه وأصلح الصواب بالخطأ»<sup>(١)</sup>.

واتجه البعض إلى وضع رموز في هذا الشأن . يقول القاضي عياض أيضاً: « من شأن الحذاق المتفنيين العناية بالتصحيح والتضبيب

(١) الإلماع ١٨٥ .



والتمريض، أما التصحيح فهو كتابة (صح) على الكلام أو عنده، ولا يفعل ذلك إلا فيما صح رواية ومعنى. غير أنه إن كان عرضة للشك أو الخلاف فيكتب عليه كلمة (صح) ليعرف أنه لم يغفل عنه وأنه قد ضبط وصح على ذلك الوجه<sup>(١)</sup>.

وأما التضييب ويسمى التمريض فيجعل على ما صح وروده كذلك من جهة النقل، غير أنه فاسد لفظاً أو معنى لعدم جوازه من حيث العربية، أو يكون مصحفاً فنضع فوقها مثل (ص) وكأنها صاد كلمة (صح) وذلك لتفريق بين التصحيح والتمريض على أنه إذا وقف على صحة ذلك أتمها فتُصبح (صح)<sup>(٢)</sup>.

واستعمل بعضهم كالعلموي «كلمة (كذا) فوق الكلمة التي هي محل شك أي: هكذا رأيت»، ويكتب في الحاشية (صوابه كذا) إن كان يتحققه، أو: (لعله كذا) إن غلب على ظنه أنه كذلك. أو يكتب على ما أشكل عليه ولم يظهر له وجهه (ضبة) وهي رأس صاد مهملة». وتعني كلمة (ضبة) أن الكلمة مقفلة بها لا تتجه لقراءة كما أن الضبة مقفل بها وهي خشبة تنزلق خلف الباب تقفله.

(١) الإلماع ص ١٦٦.

(٢) المعيد ٢١٠، الإلماع ١٩٦.

### ٣- الشكل والتنقيط والإعجام والإهمال:

ذكروا أنه إنما يُشكّل ما يُشكّل . وأمّا النَّقْط فلا بد منه . وقال آخرون يجب شكل ما أشكل وما لم يُشكّل ولا سيما للمبتدئ في العلم . على أن أولى الأشياء بالضبط أسماء الرجال لأنه لا يدخله القياس .

وقد جرى أهل الضبط في رسم هذه الحروف المشكّلة إذا ضبطت وصححت أن يرسموا ذلك الحرف المشكل مفردًا في حاشية الكتاب قبالة الحرف بإهماله أو نقطه أو ضبطه ليستبين أمره ويرتفع الإشكال عنه <sup>(١)</sup> .

ثم لا بد من تبيين المهمل بجعل علامة الإهمال تحته فيجعل تحت الحاء حاء صغيرة، وكذلك تحت العين عينًا صغيرة وكذلك الصاد والطاء والذال والراء . ومنهم من يضع على الحروف المهملة خطأً صغيرًا فوقه شبه نصف نبرة أو هلال صغير .

### ٤- الإلحاق للنقص في النصّ والتنبيهات في الحواشي :

اتفق العلماء عند كتابتهم أنه إذا سقط من النصّ شيء سهواً ثم

(١) المعيد ص ٢٠٩ .

أرادوا استدراكه ألا يقحموه بين السطور وإنما يكون بوضعه على حاشية الصفحة في الإشارة إلى مكانه من النص بما يسمى ( علامة الإلحاق ) أو ( علامة الإحالة )، وهي خط رأس مائل نحو اليمين إذا كتب الاستدراك على الحاشية اليسرى وتكون كتابة اللحق من الأسفل إلى الأعلى ويكتب آخره « صح ».

وأما كل ما يكتب في الحواشي من تنبيه أو تفسير أو اختلاف ضبط فلا يجب أن يُخرَج إليه، فإن ذلك يُدخل في اللبس ويظن أنه من الأصل، وربما جعل على الكلمة المراد بيانها إشارة كالضمة أو غيرها ليدل عليها<sup>(١)</sup>.

### ٥- الزيادة في النص وعلاجها :

اعتاد القدماء أنه إذا وقعت زيادة تخيروا فيها بين ثلاثة أمور :

أ- الكشط : وهو سلخ سطح الورق بسكين أو نحوها .

ب- المحو : وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن .

ت- الضرب عليه : وهو أجود عندهم من السابقين ويكون

(١) الإلماع للقاضي عياض ١٤٩ .

ذلك بطرائق منها : إما أن يصل الكلمات المضروب عليها، أو أن يجعل سطرًا فوق الكلمات منحرفًا طرفاه كالباء المقلوبة هكذا (بِ)، أو أن يكتب فوق أول الكلمات لفظة « لا » أو لفظة « من » على أولها ولفظة « إلى » على آخرها . ومعناه : من هنا المحذوف إلى هنا أو يضع دائرة في أول الكلمات المحذوفة ودائرة فوق آخرها<sup>(١)</sup>.




---

(١) المعيد ٢١١ .



## السماعات على المخطوطات العربية

### أهميتها وفوائدها

يطلق مصطلح (السماع) أو (الطباق) في المخطوطات العربية على النص الذي يكتب بعد الانتهاء من قراءة كتاب أو جزء على الشيخ مؤلف الكتاب أو على من يرويه بالسند إلى مؤلفه، وهو بمثابة شهادة من الشيخ للذين سمعوا عليه من الكبار الذين هم في سن الخامسة أو أكثر، أو حضروا عليه من الصغار، فيقولون للكبير (سمع) وللصغير (حضر). ويكون نص السماع في آخر الكتاب، أو على صفحة العنوان، أو على الصفحات الداخلية إذا لم تتسع الكتابة آخر الكتاب أو أوله.

واستعمل العلماء مصطلح السماع ليعني ما ابتكروه من وسيلة مهمة لضبط نقل المدونات، بعد أن أصبح الاعتماد في النقل على

المصنفات لاحتوائها أهم المعلومات التي كانت موزعة في الصحف والأجزاء والنسخ، فانصرفت همّة العلماء إلى ضبط هذه المصنفات والتحرى في نقلها، واستخدمت مجالس الإماء والتلقي وذلك لبيان مَنْ قُرئ الكتاب عليه أو تلقي عنه، ومن تولى ضبط ذلك المجلس، ومن شارك فيه، ومن تولى القراءة، ومكان ذلك وزمانه، والمقدار المقروء أو المسموع، ومقدار المشاركة إلى غير ذلك مما يعدّ وثيقة تاريخية في توثيق النصّ المنقول، وإثبات حق للأطراف المشاركة فيه .

وهذه السماعات في الحقيقة إنّما هي صورة من الصور التي عرفها العلماء القدامى عن الشهادات العلمية التي تُمنَح اليوم، يقول الدكتور صلاح الدين المنجد: إنّ هذه السماعات ظهرت في القرن الخامس الهجري عند ظهور المدارس وانتشارها في العالم الإسلامي، ففي هذا القرن عمدوا إلى ظاهرة جديدة هي أن يثبتوا في آخر الكتاب أو صدره أو في ثناياه أسماء الذين سمعوه على مصنّفه، أو على عالم غيره، فإذا نسخ الطالب نسخة من النسخ المحفوظة في المدرسة أو المسجد نقل أيضًا ما ثبت فيها من سماعات . ويلاحظ أنّ هذه السماعات كانت تظهر وتنتقل مع ظهور مراكز العلم وانتقالها من مكان إلى آخر، ففي القرن الخامس نجد السماعات في بغداد، ثم في دمشق، وفي

القرن السادس نجد الساعات الكثيرة في دمشق في كتب بني عساكر والمقادسة، ثم تزدهر في القرن السابع حين تضعف في بغداد، وتبدأ بالظهور في القاهرة، وقد كانت دمشق أسبق إلى تأسيس المدارس من القاهرة (١).

### الشروط التي يجب أن يتضمنها نصّ الساع :

١ - اسم المسمع سواء كان المصنّف أم غيره، فإذا لم يكن المصنّف، ذكر المسمع سنده الذي قرأ عليه . وقد يكون المسمع امرأة فينص على اسمها، ونحن نجد كثيرًا من الساعات على نساء الحنابلة بدمشق . وقد يكون المسمع ثلاثة لا واحدًا أي ثلاثة من العلماء يجلسون معًا ويُقرأ عليهم كتاب ما، وقد يتجاوز عدد المسمعين لكتاب ما العشرة رجالاً ونساء (٢).

٢ - أسماء السامعين من الرجال والنساء والصغار وتحديد سني

(١) إجازات الساعات في المخطوطات العربية: مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٥٥م، ٢/١ ص ٢٣٢-٢٥١.  
 (٢) توجد أمثلة كثيرة لهذه الساعات في كتاب جامع الحنابلة للمؤلف في فصل: الساع الجماعي.

الصغار وذكر أسماء الرقيق . وتذكر أسماء السامعين فرداً فرداً مع أسماء آبائهم، ويذكر الجد الأول والأعلى أحياناً ويرافق الاسم صفة السامع فيقال: القاضي أو الخطيب أو الفقيه مثلاً.... وذكر أسماء الصغار في الساعات يفيد عند من أجاز رواية الصغير . وقد سمع كثير من العلماء وهم في سن مبكرة كابن عساكر الذي سمع وهو في السادسة والحميدي الذي سمع في الخامسة، والضياء المقدسي في السابعة . ويلاحظ في الساعات التي جرت في مدارس دمشق في العصر الأموي كثرة من يحضرها من الرقيق مما يدل على أن النهضة العلمية يومئذ شملت الطبقات كافة، وكثيراً ما نجد اسم الفتيان أي العبيد فيقولون حضر فلان وفتاه فلان، أو حضر فلان ومريضته.

٣- النص على ما سمعه الحاضرون وما فاتهم سماعه: وكانت أمانة العلم تدفعهم إلى النصّ على ما سمعه كل من الحاضرين، فقد يتأخر أحدهم عن السماع فيفوته بعض الكتاب فيقولون : سمعه مع فوت . وقد يحددون مبدأ السماع ومنتهاه فيقولون : سمع من قوله كذا إلى آخر الكتاب . وقد يضعون في الهامش علامة تشير إلى بدء قراءة طالب ما بكلمة « بلغ »، ومثال ذلك: أسماء السامعين لـ «سنن الدارقطني» في دار الحديث الأشرافية بدمشق، على الحافظ المزي سنة



٧٢٧ هـ، ومدى الدقة في عدد الجلسات التي استمع فيها كل واحد من الطلبة<sup>(١)</sup>.

٤- اسم القارئ: يختار عادة ممن عرف بحسن قراءته فيقولون: بقراءة فلان، ويرد اسم القارئ غالباً في أول نص السماع قبل اسم السامعين، وقد يرد مع أسمائهم لمناسبة ما، كورود اسم أخيه أو ابن عمه.

٥- النسخة التي قرئت فسمعتها الحاضرون: في بعض الساعات نجد ذكراً للنسخة التي قرئت وسمعتها الحاضرون فيقولون: والنسخة للحافظ ابن عساكر أو للحافظ عبد الغني مثلاً أو للموفق أو للضياء. وقد تكون نسخة المصنف أحياناً. وقد يذكر في السماع أنه كان على النسخة الجديدة، كما ورد في سماع مؤرخ سنة ٥٥٩ هـ لتاريخ ابن عساكر.

٦- كاتب السماع: في آخر السماع يذكر اسم الكاتب، ويرد اسمه فيمن سمع ويرد به: وهذا خطه، وقد يسمى أيضاً: مثبت السماع أو كاتب الطبقة. والجمع طباق. وهذا يدل على ثقته وضبطه وحسن

(١) دار الحديث الأشرفية بدمشق، تأليف محمد مطيع الحافظ - دار الفكر بدمشق ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

خطه وأمانته . وربما كان قارئ النسخة ومثبت السماع واحداً كما في كتب الضيياء المقدسي والقاسم البرزالي .

٧- ورود لفظ صح وثبت: لا بد من أن يكتب الشيخ المسمع لفظ « صح » أو « ثَبَّت » بعد ذكر أسماء السامعين في آخر السماع، وبعد ذكر التاريخ. ومعنى ذلك أنّ الشيخ توثق من صحة الأسماء وما قرأه كل من السامعين .

٨- مكان السماع: وينصون على المكان الذي سمع الكتاب فيه، فقد يكون المسجد أو البيت أو البستان . والنص على المكان يفيد في معرفة أسماء الأماكن وضبطها وتحديدها، وهذا يفيد في معرفة الأماكن التي يجتمع فيها العلماء وكذلك في معرفة المدارس ومن درّس فيها أو قرأ، ويستفاد منها في رحلة العالم وزمانها.

٩- تاريخ السماع ومدته: ويُنهى السماع قبل التحميد أو الصلاة على النبي بذكر التاريخ . ويذكرون في التاريخ اليوم والشهر والسنة ويذكرون مدة السماع وعدد المجالس، وقد يستعملون لفظ (نوبة) فيقولون سُمع في نوبتين مثلاً أو أكثر، كما ورد في سماع لتاريخ ابن عساكر .

## ١٠- قيمة السماع وفائدته:

أ- هو أنموذج من النماذج في التثبت العلمي المتبع .

ب- هو وثيقة صحيحة تدل على ثقافات العلماء الماضين وما قرؤوه أو سمعوه من كتب .

ت- مصادر للتراجم، فالسماعات تتضمن أسماء أعلام كثيرين لا نجد لهم ترجمة أو ذكرًا في كتب التراجم المعروفة، وقد يرد اسم علم واحد في سماعات عديدة فيمكن صنع ترجمة له بذكر ما سمع من كتب، وما لقي من شيوخ، ومن عاصر من رفاق في طلب العلم، وما زار من بلدان . ولو أن باحثًا انصرف إلى هذا الأمر لاستخرج من السماعات أسماء مئات من العلماء لم تعرف تراجمهم<sup>(١)</sup> .

د- وسيلة لمعرفة مراكز العلم وحركة التنقل للأفراد من بلدان مختلفة، ففي سماع على البرزالي في تاريخه سنة ٦٦٢ هـ في مسجد دمشق نجد الصقلي والمرسي والحجازي والبلبكي والمعري والبغدادى والهمذاني، فهؤلاء قد وردوا من بلدان مختلفة لينهلوا العلم في دمشق .

(١) كتب المؤلف على هذه الطريقة كتاباً بعنوان: «التنويه والتبيين في سيرة محدث الشام الحافظ ضياء الدين المقدسي»، طبع في دار البشائر الإسلامية ببيروت.

هـ - وسيلة معرفة رحلات عالم ما من خلال مكتبته، كما في كتب الضيياء المقدسي .

و- وسيلة كذلك لمعرفة الكتب التي كانت تدرس وتؤلف في فترة من الفترات .

ز- السماع المثبت على كتاب دليل على صحته ونسبته إلى مؤلفه وتاريخه وضبطه . لذلك كان لا بد من نشر السماعات بنصّها عند نشر أي كتاب خطي .

ح- القارئ للكتاب أو الجزء، والكاتب للسمع، يختاره الشيخ لحسن قراءته وحسن خطه، وهذا الأمر يفيدنا في معرفة الناهيين من طلاب العلم الذين لا نجد لهم ترجمة في كتب التراجم .

ط- معرفة كثير من الكتب أو الأجزاء التي كانت متداولة، ثم انقطع خبرها. وهذا ما نجده في سماعات الحافظ ابن طولون في مدارس دمشق<sup>(١)</sup>، التي قرأها على شيوخه، ثم ضاعت هذه

(١) وهو مسموعات الحافظ ابن طولون في مدارس دمشق (مخطوط بمكتبة شستريبيتي)، يقول محمد مطيع: وقد استخرجتُ الاستفادة منه وأقوم بنشره تباعاً على موقع (الألوكة).

المؤلفات، وكذلك في كتاب فهرس الكتب للإمام يوسف ابن عبد الهادي<sup>(١)</sup>.

ي- مشاركة المرأة في تلقي العلم: أخذاً وعطاء، وهذا نجده بشكل كبير في مخطوطات القرن السابع والثامن بالمكتبة الظاهرية .

ك- الزمن الذي كان يقضيه طالب العلم في الرحلة وعدد رحلاته .

ل- يمكننا معرفة تاريخ تأليف الكتاب أو الجزء، بالرجوع إلى تاريخ أول سماع على المؤلف إذا لم يُنصَّ على تاريخ التأليف، وكثرة السماع تدلُّ على مدى الاهتمام بهذا الكتاب: ومن المؤلف وبعد وفاته .

ملاحظة: سماع الصغير وصحة سماعه :

قال القاضي عياض<sup>(٢)</sup>: أما صحة سماعه، فمتى ضبط ما سمعه صح سماعه، ولا خلاف في هذا . وصح الأخذ عنه بعد بلوغه . وقد حدد العلماء عمر الصغير الذي يصح سماعه بخمس سنين . ولعلمهم إنها رأوا أن هذا السن أقل ما يحصل به الضبط، وعقل ما يسمع

(١) حققه الشيخ محمد خالد الخرسة بدمشق بدار البيروتي ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

(٢) الإلماع ص ٦٢-٦٧ .

وحفظه، وإلا فمرجوع ذلك للعادة والطبع والفطرة . فقال بعضهم يكمل عقل الغلام لعشرين لأنها مجتمع العقل . وقال بعضهم: الرواية من العشرين والدراية من الأربعين .

### أنواع الأخذ وأصول الرواية:

١- السماع من لفظ الأستاذ: وهو أرفع الدرجات في أنواع الرواية عند الأكثرين . واصطلاح فيها أن يقال: حدثنا، أو سمعت فلاناً، أو قال لنا فلان، أو ذكر لنا فلان .

٢- القراءة على الأستاذ: سواء كان القارئ صاحب الكتاب أو غيره وهو يسمع والشيخ يسمع وهو ما يسمى عَرَضًا؛ لأنَّ القارئ يعرض ما يقرؤه على الشيخ . وربما استعملوا لفظ: (أخبرنا) لهذه الطريقة في التلقي، وما عرضه على الأستاذ وأجاز روايته شفاهًا: (أنبأنا).

٣- المناولة: وهي أن يدفع الأستاذ كتابه الذي رواه أو كتبه إلى تلميذ له ويقول له: اروها عني .

٤- الكتابة: أن يكتب الأستاذ إلى طالب شيئاً من تأليفه ويرسله

إليه .

٥- الإجازة : إما مشافهة أو كتابة بأن يأذن له أن يروي كتاباً من كتبه أو تأليفه أو مروياته .

٦- الوصية : أن يوصي الأستاذ بكتبه لتلميذه عند سفره أو موته .

٧- الإعلام : هو إعلام الأستاذ الطالب بمروياته ومسموعاته وإجازاته أو يقول له الطالب : هل تأذن لي برواية ما ترويه ؟

٨- الخط : هو الوقوف على كتاب بخطّ محدّث مشهور يعرف خطه، وإن لم يتلق عنه أو يلقيه .





نماذج من الساعات على الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي المتوفي سنة ٦٤٣ هـ كتابه (المصافحة) بتحقيق، وتاريخ هذه الساعات: ٦٢٤ هـ، ٦٣٣ هـ، محرم ٦٣٥، صفر ٦٣٥، ٦٣٧ هـ، ٦٣٩ هـ، ٦٤٠ هـ، ٦٤١ هـ، ٦٤٢ هـ.





## الفن في المخطوطات

### الصور والرسوم والزخارف والتذهيب

كان الكاتب عند كتابة المخطوط يترك فراغاً للصور والرسوم ليُحلّى بالصور والرسوم والزخارف، ثم يأتي التذهيب أخيراً كمظهر من مظاهر الرقي الفني عند العرب .

واختلف الفقهاء في تحريم الصور، ومنهم من أباح الصور التي لا ظلّ لها . على أننا نجد الصور على النقود منذ عصر عبد الملك بن مروان . أمّا الرسوم التزيينية للنباتات أو المباني فقد وجدت على فسيفساء الجامع الأموي، ولم تكن الرسوم على جدران القصور والدور في الأندلس ومصر ثقل روعة وجمالاً عن نظائرها في قصور الخلافة العباسية في العراق.

ولقد كانت العناصر الفارسية تظهر جلية في الحياة الثقافية في



العصر العباسي، ومن الطبيعي أن يأخذ العرب عنهم فكرة تزيين الكتب بالصور والرسوم، ولا شك أن كتاب كليله ودمنة على رأس الكتب المزخرفة والمزوقة بالصور والرسوم والذي نقله العرب إلى لغتهم .

ويبدو أن عصر أبي جعفر المنصور كان عصر نهضة فنية للكتاب العربي، ومنذ ذلك الحين نجد الاهتمام برسوم الخرائط الجغرافية فيقال: إن الأرض رسمت للرشيد، وعُمل للمعز الفاطمي مقطع من الحرير فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها وأنهاها وبحارها .

ودخلت الصور كتب الهندسة وعلم الآلات والطب والكيمياء أي دخلت الرسوم عالم المخطوطات العربية أول الأمر لتخدم أغراضها العلمية، ثم تطورت لتصبح جمالية فنية<sup>(١)</sup>.

### الزخارف :

ونعني بذلك كل رسم يحلّى به المخطوط لمجرد القيمة الجمالية، وكان موضعها على صفحة العنوان وصفحة أو صفحتين من أول الكتاب، وأوائل الفصول، ونهاية الكتاب، وجداول في الصفحات.

(١) المخطوط العربي ص ١٨١ .

وكان وجود الزخارف الفنية الذهبية على المصاحف واضحاً بسبب القدسيّة، وكانت المصاحف ميداناً رحباً لفن الزخرفة العربية. ونظراً لأنهم تخرّجوا من استعمال أشكال إنسانية أو حيوانية في فنهم فقد توسعوا في استعمال الأشكال الهندسية ولم يترددوا في استخدام الذهب ومعظم الألوان المعروفة، وتأثروا بما وجدوه من فنون عند الأمم المجاورة، ثم بعد ذلك تطوروا وتوسعوا، ثم أعطوا غيرهم كما أخذوا. وانفرد العرب بنوع من الزخارف لم يسبقوا إليه وخاصة زخارف الخطوط التي قامت على أساس الاستفادة من طبيعة الحروف العربية فجعلوا منها أشكالاً هندسية ونباتية جميلة. وتفوق هذا الفن على غيره من الفنون.

### التذهيب:

يذكر ابن النديم في الفهرست<sup>(١)</sup> أسماء مذهّبين كانوا معاصرين له، وبعضهم كان قبل ذلك. وكانت الصفحات الأولى من المخطوطات هي المجال الأول لفن التذهيب، يليها بعد ذلك الهوامش وبدائيات الفصول والعناوين، وأحياناً يذهّبون الصفحة الأخيرة لإيجاد نوع من

(١) الفهرست ١٤ .

التشابه أو التقابل . ولم يقتصر التذهيب على الصفحات الأولى من المخطوط وإنما تجاوزها إلى الجلود وجوانب الكتاب .

وكان فن التذهيب كما يقول سفندال أول الفنون التي نقلها الإيطاليون قبل كل شيء عن أساتذتهم المسلمين .

### التجليد :

يُعدُّ الأقباط والأحباش أول من استخدم الجلد في تجليد الكتب، فقد وصل إلينا غلاف جلدي يرجع إلى القرن الرابع الهجري . ومن دراسة هذه الأغلقة نرى أنه استخدم مادة الجلد أساساً لتغليف ألواح الخشب وصفائح البردي التي تغلف الكتب .

وانتشرت أساليب هذه الصناعة إلى سائر أنحاء الشرق الأوسط وخاصة بلاد فارس واقتضى نسخ المصاحف في عهد عثمان إلى تجليده، وأغلب الظن أنهم نقلوه عن الأقباط أو الأحباش وأن المصاحف والمخطوطات الأولى كانت مغلفة بلوحات من الخشب قد طُعِّمت بقطع من العظم والعاج أو غلفت بالقماش والجلد .

وحتى منتصف القرن الثاني الهجري لم يكن لدى العرب كتاب يمكن أن يجلد غير المصحف ثم بدأت المصنفات تتخذ شكل كراسات

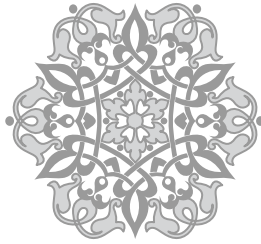
أو ملازم . ومنذ ذلك التاريخ بدأ ميدان التجليد يتسع ويزدهر، ففي بيت الحكمة نجد ذكرًا لسبعة من المجلّدين كما قال ابن النديم في الفهرست . ومنذ ذلك الوقت بدأ الجلد يدخل في صناعة التجليد بعد أن كان الخشب هو المستعمل، ثم استبدل بالخشب أوراق البردي المقوى . وأخيراً الجلد مع الزخارف .

وكانت صناعة الجلود متقدمة في مناطق متفرقة من أرض العرب، واستطاع فنانو العرب أن يتفوقوا على ما صنعه من كان قبلهم وخاصة في العرب والأندلس . ثم تقدم في صناعتها أهل الشام، وتفنّنوا في صنع ما يعرف باللسان وهو امتداد في الجلدة اليسرى .

ودخلت الزخارف النباتية ميدان جلود المخطوطات، ثم تطورت إلى الزخارف الهندسية، ثم تطورت إلى الوجه الداخلي للغلاف . وكان صنعها بطريقة الختم والضغط .

وما زال المجلّدون العرب يتقنون ويتفنّنون حتى وصلوا إلى مرحلة عالية من الفن والزخرفة فأدى بالطبع هذا إلى انتقال هذه الصناعة إلى أوريا عن طريق الأندلس .







## أقدم المخطوطات في العالم

### ١- المصاحف :

- مصحف منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب . تاريخ كتابته سنة ٢٩ هـ . محفوظ في استانبول بمتحف طوبقابوسراي .
- مصحف في دار الكتب بالقاهرة - تاريخ نسخه ١١٩ هـ .
- مصحف منسوب إلى الإمام جعفر الصادق - محفوظ في طهران .
- مصحف منسوب للخليفة عثمان بن عفان في طشقند .

## ٢- الكتب:

## \* في القاهرة في دار الكتب المصرية :

- رسالة الإمام الشافعي . وهي نسخة الربيع بن سليمان . تاريخ نسخها ١٩٩ هـ .

- الانتصار لابن الخياط . كتب سنة ٣٤٧ هـ .

- سر النحو للزجاج . كتب قبل سنة ٣٥١ هـ .

- مشكل القرآن لابن قتيبة . كتب سنة ٣٧٩ هـ .

- أخبار سيبويه المصري لابن زولاق . كتب قبل سنة ٣٨٦ هـ .

## \* في دمشق في مخطوطات دار الكتب الظاهرية:

- مسائل الإمام أحمد بن حنبل، كتبت سنة ٢٦٦ هـ بخط تلميذه المشهور أبي داود السجستاني.







## المصادر والمراجع

- الإتيان في علوم القرآن (١-٢)، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. مصطفى البغا، دمشق ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- الأعلام (١-٨)، خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين.
- إجازات السماع في المخطوطات العربية، مقال في مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد الأول، الجزء الثاني، سنة ١٩٥٥ ص ٢٣٢-٢٥١.
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة، حيدر أباد ١٣٥٣ هـ.

- الجامع لأخلاق الراوي والسامع (١-٢)، الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.
- حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، د. يحيى عليان، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤١، عام ١٩٩٢ م.
- السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- صبح الأعشى في كتابة الإنشا، للقلقشندي، دار الكتب المصرية ١٩١٣-١٩١٨ م.
- العلامات والرموز عند المؤلفين العرب قديماً وحديثاً، د. حسين علي محفوظ ١٩٤٤ م.
- الفهرست، ابن النديم، القاهرة، المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ.
- كشف الظنون (١-٢)، حاجي خليفة، استانبول ١٩٤٢ م.
- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، القاهرة.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، القاهرة ١٩٢٢ م-١٩٣٨ م.
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد للعلموي (مختصر الدر النضيد للغزي)، بتحقيق د. سميح الحسيني، دمشق، دار العصماء ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٤ م.



## محتويات الكتاب

ص	الموضوع
٥	- افتتاحية
٧	- تقديم
١١	* مقدمة عامة عن المخطوطات العربية وأهمية التراث العربي
١٤	- مميزات تراثنا العربي
١٦	- صناعة المخطوط
٢١	- صناعة الورق عند العرب
٢٣	أنواع الورق
٢٤	أدوات الكتابة: الأقلام، الحبر، الدواة
٢٩	* الكتابة وتطورها عند العرب
٣٥	انتشار الكتابة في عصر الرسول ﷺ بفضل القرآن الكريم
٣٦	كتابة الوحي
٣٧	جمع المصحف وكتابه
٣٧	جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٩	كتابه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه
٤١	كتابة الحديث الشريف

٤٣	مراحل كتابة الحديث الشريف
٤٣	الكتابة في العصر الأموي
٤٦	حركة التأليف عند العرب
٤٩	* الترجمة
٥٠	بدء النقل
٥١	طريقتنا النقل
٥٢	طبقات الناقلين
٥٢	نتائج النقل
٥٥	* الوراقة والوراقون
٦١	* بداية التأليف
٦٧	* الأمالي ومجالس الإملاء
٧٣	* كتابة المخطوط
٧٣	عنوان المخطوط
٧٤	بداية المخطوط
٧٥	حواشي المخطوط
٧٥	التسطير
٧٦	حسن الكتابة وأسلوبها

٧٧	علامات الترقيم
٧٧	ترقيم الأوراق والصفحات
٧٨	نهاية المخطوط
٧٩	*توثيق الكتاب المخطوط بعد كتابته
٧٩	١- المقابلة بين النسخ
٧٩	٢- إصلاح الخطأ :
٨٢	٣- الشكل والتنقيط والإعجام والإهمال
٨٢	٤- الإلحاق للنقص في النصّ والتنبيهات في الحواشي
٨٣	٥- الزيادة في النصّ وعلاجها :
٨٥	* السماع على المخطوطات العربية أهميتها وفوائدها
٨٧	الشروط التي يجب أن يتضمنها نصّ السماع
٩٤	أنواع الأخذ وأصول الرواية
	* الفن في المخطوطات: الصور والرسوم والزخارف
٩٧	والتذهيب
٩٨	الزخارف
٩٩	التذهيب
١٠٠	التجليد

١٠٣

\* أقدم المخطوطات في العالم

١٠٣

١- المصاحف

١٠٤

٢- الكتب

١٠٥

المصادر والمراجع



## من إصدارات إدارة البحوث (٢٠١٤م)

١. حلية الأدباء في نظائر الضاد والطاء.
٢. رسالة إلى القاضي.
٣. الكفيل.
٤. الآثار المترتبة على عقد الكفالة المالية في الشريعة الإسلامية والقانون الإماراتي.
٥. تناصح الورثة في الميراث.
٦. من فقه الوقف (ط ٢).
٧. خطبة الجمعة الموحدة ودورها في المجتمع.
٨. التراث وإشكالية النضج والاحتراق.
٩. الكتاب بين الإعارة والاستعارة.
١٠. تكوين مكتبة للأبناء.
١١. الحج خطوة خطوة.
١٢. أدعية مختارة من الكتاب والسنة.
١٣. أذكار الحج والعمرة.
١٤. وصايا وتوجيهات لحجاج بيت الله الحرام.
١٥. الحج مقاصد وآداب.
١٦. العيد فرحة وآداب.
١٧. سنة الاعتكاف أحكام وآداب وثمرات.
١٨. مخالفات يقع فيها بعض الصائمين.
١٩. صندوق التكافل (ط ٢).
٢٠. فتاوى مختارة حول الصوم.

٢١. كلمات إلى الشباب (في العلاقة مع الله والنفس والأسرة والمجمع).
٢٢. مواقع التواصل الاجتماعي الضوابط والآداب.
٢٣. الصلاة على النبي ﷺ : معناها وفضلها وثمراتها.
٢٤. لكي تتميز في دراستك.
٢٥. النجاح همة واستقامة.
٢٦. المجتبي في مظاهر محبة النبي المصطفى ﷺ .
٢٧. بني له بيت في الجنة .
٢٨. آداب اللباس في مجتمع النساء .
٢٩. وطائف العقل في القرآن .
٣٠. كيفية التعامل مع المتطلبات المالية للزوجة .
٣١. تراث التفسير بين المخطوط والمطبوع .
٣٢. أسس التعامل الأمثل مع الراتب.
٣٣. الصلاة رحلة الحب والشوق (خواطر حولها وقصص من أحوال السلف الصالح فيها).
٣٤. كشف الغطاء عن مسألة تجويز الخطأ.
٣٥. حقوق المولود في الإسلام.
٣٦. رسالة في علم الصرف.
٣٧. سلسلة رموز وطن (٢): الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم.
٣٨. الاجتهاد في الإسلام وأهميته في حياة المسلمين.